مقدمة:

جاء هذا البحث بعنوان :القيم التربوية في شعر المتنبي.

الحمد لله سبحانه والثناء عليه والصلاة والسلام على رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ,قال تعالى :((يرفع الله الذين أمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات والله بما تعملون خبير)) سورة المجادلة الآية إن للغة قيمة جوهرية في حياة كل أمة ,فهي الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم وتقيم روابط الاتصال بين أبناء الأمة ,وتعتبر اللغة العربية من أهم اللغات التي عرفتها البشرية على مر الزمان والعصور, فقد عرفت منذ ماقبل التاريخ وبداء الناس ينطقون بها ,وينشدون بها أشعارهم وافكارهم مع بداية الدعوة الإسلامية وانتشارها في شبه الجزيرة العربية ,وحظيت اللغة العربية بالكثير من الإهتمام وخاصة بعد ان إرتبطت بالقرآن الكريم ,عندما نزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم كان لابد أن ينزل على العرب بلغتهم ,واستطاعت منذ ذلك الوقت أن تكسب اللغة العربية شرعية الدين والدولة ,واستطاعت أن تحظى بالإهتمام من كافة القبائل المحيطة والبعيدة.

وقد تناول الباحثون القيم التربوية في شعر المتنبي ,وهو علم من أعلام الشعر العربي , وهو شاعر مبدع يستحق الإهتمام بشعره ودراسته ,وإن ديوان من دواوين الشعراء العرب لم يلقى عناية من الشرح والتعليق والنقد والاستحسان مثلما لقى ديوان المتنبي .

إن أبا الطيب المتنبي يتصدر شعراء العربية جميعها ,شهرة وبعد صيت والسبب في ذلك ,هو ماحواه ديوانه من غرائب وعجائب ,وأعماق وآفاق وتحديات ومجابهات ,مخالفة لما ألف الناس أن يسمعوه ,من غيره من الشعراء الذين عاصروه او سبقوه ,ومن اشهر المحدثين والمعاصرين الذين كتبوا عن المتنبي,وخصوا شخصه وشعره بدراسة مستقلة ,الأستاذ الدكتور طه حسين ,وأساتذنا الدكتور عبد الوهاب عزام و والأستاذ المحقق محمود محمد شاكر ,والأستاذ الدكتور عبد الله الطيب .والأمر العجيب في شعر المتنبي ,أن المرء كل ماقراء شعره بعناية واستيناء خرج منه بشيء جديد لم يكن إلتفت إليه من قبل ,وتلك السمة لا تتوفر إلا عند عدد قليل من الشعراء العرب .

إن حياة الشاعر في بئية ما لفترة طويلة من الزمان لابد أن توثر في فكره ومنهجه ,إن لم تكن أثرت في إعادة تكوينه ,وقد عاش أبو الطيب المتنبي في مصر خمس سنوات موصولة ,وإن الحياة الفنية لأبي الطيب لم تتجاوز خمس وثلاثين سنة ,ومعنى ذلك أن المتنبي عاش سُبع حياته في مصر .

إننا لا نريد الإطالة في هذه المقدمة ؛لأننا مهما استطردنا في هذا الأمر ,فإنه لا غنى عن استقراء الكتاب كله ,إنما أردنا أن ننبه في هذا الجزء من المقدمة إلى بعض المنعطفات الخطيرة والتحولات الأساسية في فكر أبي الطيب وشعره وسلوكه.

أهمية البحث:-

تكمن أهمية البحث في الآتي:

1-يعد الشاعر المتنبي علم من أعلام الشعر العربي ؛لذلك لابد للدارسين من الإهتمام بشعره .
2-كما يظهر ذلك من خلال تناول عدة أغراض من شعره ,الوصف والحكمة ,الغزل والهجاء .
3-دراسة تحليلية للشاعر المتنبي ,ونماذج من شعره .

أهداف البحث:-

1- بيان نشأة المتنبي وحياته ومولده .
2- بيان عصر حياته الاجتماعية ووفاته .
3- بيان نموذج من أغراض شعره وتحليلها .

مشكلة البحث :-

1-ما سبب هجاء المتنبي لكافور الإخشيدي ؟
2-ما هي أراء النقاد في شعر المتنبي ؟

منهج البحث :-

اتبع الباحثون في هذا البحث المنهج الوصفي والتحليلي .

هيكل البحث:-

يتكون من مقدمة وثلاثة فصول وعشر مباحث :

الفصل الأول : نشأته وحياته .

-المبحث الأول: مولده ,نشأته ,عصر حياته الاجتماعية ,وفاته.

-المبحث الثاني: أخلاقه ,صفاته ,تعليمه.

-المبحث الثالث : شعره ,شخصيته .

الفصل الثاني : فلسفته وآراؤه في الحياة وآراء النقاد في شعره .

-المبحث الأول : الحكمة.

-المبحث الثاني : الوصف .

-المبحث الثالث : الغزل .

-المبحث الرابع : آراء النقاد في شعره .

الفصل الثالث :القيم التربوية في شعر المتنبي ,نموذجاً(كافور الإخشيدي) .

-المبحث الأول : كافور الإخشيدي .

-المبحث الثاني : المتنبي يهجوويمدح كافور الإخشيدي .

- المبحث الثالث :نماذج من شعره وتحليل شخصيته.

الفصل الأول:

مولده ,نشأته عصر حياته الاجتماعية ,وفاته:

المبحث الأول: مولده ,نشأته ,عصر حياته الاجتماعية وفاته:

مولده:

ولد أبوالطيب أحمد بن الحسين الجعفي بالكوفة ,في محلّة يقال لها: كندة.
وكان شاعراً مغلقاً شديد العارضة ,راجح العقل عظيم الذكاء قدم الشام في صباه ,واشتغل في فنون الآدب ولقي في رحلته كثيراً من أئمة العلم,فتخرج عليهم وأخذ عنهم .
وكان من المطلعين على أوابد اللغة وشواردها حتى أنه لم يسأل عن شيء إلا استشهد له بكلام العرب من النظم والنثر .
وقد سمي بالمتنبي ؛لأنه ادّعى النبوة في بادية السماوة من أعمال الكوفة ,فلما زاع أمره وفشى سره خرج إليه لؤلؤ أمير حمص نائب الإخشيد ,فأسره ولم يحلّ عقاله حتّى استتابه .
ولم يمض ردح من الزمن على تخلية سبيله ,حتى لحق بالأمير سيف الدولة بن حمدان ,كان ذلك سنة سبع وثلاثين وثلاث مائة ,(ثمانية واربعين وتسع مائة)فمدحه فأحبه وقربه, وأجازه الجوائز السنية , وأجرى عليه كل سنة ,ثلاثة ألاف دينار خلاف ما كان يهبه من الإقطاعات والخلع والهدايا المتفرقة .

وكان لسيف الدولة مجلس يحضره العلماء كلّ ليلة فيتكلمون بحضرته , ووقع بين المتنبي وابن خالويه كلام ,فوثب ابن خالويه على المتنبي وضرب وجهه بمفتاح كان بيده وكان سيف الدولة حاضراً فلم يدافع عن أبي الطيب المتنبي , فخرج مغضباً ودمه يسيل ,وكان ذلك سبب مغادرته فسار إلى دمشق وألقى فيها عصاه ولم ينظم هناك قصيدة إلا عرض بها بمدح سيف الدولة لكثرة محبته له [1].
ثم ذهب إلى مصر ومدح كافور الإخشيدي وفي نفسه مطامع,ولما لم ينله كافور رغباته غادر مصر وهجاه بعدة قصائد مشهورة .

نشأته:

نشأ فقيراً وقيل :إن والده كان يسقي الماء لأهل المحلة على بعير.
أما جدته لأمه فهي همدانية صحيحة النسب وكانت من نساء الكوفة الصالحات ,وهو لا يعرف

[1] حلب سنة 346ه-957م.

شيء عن والدته ويبوا أنها ماتت في حداثته ,فتكلفته جدته لأمه سمدت على تربيته والإهتمام بشوؤنه. تعلم أول مرة في مدرسة خاصة بإشراف العلويين في الإضاح ,فكان يتعلم العربية شعراً ولغة وإعراباً [2].

وهذا مايدفع للتسأول كيف المتنبي الفقير يدرس في مدرسة خاصة بأشراف العلوين .وبعد أن شب أحذ يتردد علي الوراقين من كتبهم فكان علمه من دفاترهم .

لحظ ابوه فيه مقابل الذكاه, فالحقه بإحدى المدارس العلوية وبذلك اتصل مباشرة بتعاليم الشيعة وحدث أن نهض القرامطة الكوفة سنة312ه فانتقل به ابوه غلي بادية السماواه بين العراق وتدمر وظل بها عامين.

إن اتاح له أن يؤهل من ينابيع اللغة الأصلية ويعود إلي الكوفة مع أبيه , وقد تفتتحت مملكته الشعرية ورأي أن يتجه إلي المديح لعله يحظي بمكان مايحظي به المادحون من أموال , فمدح أبوالفضل الكوفي ولزمه , وكان من المتفلسفة , فدرس الفلسفة عليه

وشعره في الفترة الأولي من حياته يسخر بالفخر والاعتزاز بالنفس اعتزازا مفرطا , فهو يرفع نفسه علي الناس من حوله ويذودهم ويحقد عليهم حقدا شديدا بل أنه يحقد علي الزمن وتتسع المبالغة عنده, وتظن إنها جاءته من عقائد الشيعة في إتئهم ماكانوا يخلعونه عليهم من صفات الهيئة وقد تحول بها غلي فخره وحديثه عن نفسه.

عصر حياته الأجتماعية :

إن عصر المتنبي هو عصر أبي فراس فالشاعران عاشا في زمن واحد هوآخر القرن الثالث واول القرن الرابع الهجري,وقد تحدثنا عن ذلك العصر مافيه الكفاية لدراستنا للشاعر ابن حمدان.

حياته الإجتماعية:

يقول أبوالحسن العلوى كان وهو صبي ينزل في جوار الكوفة وكان محب لأهل العلم والأدب فصحب الإعراب في البادية وجاءنا بعد سنين بدويا قحاً وكان تعلم الكتابة والقراءة فلزم أهل العلم والأدب وأكثر من ملازمته الوراقين فكان علمه من دفاترهم وقدم الشام في حياتة وجال في اقطارها وكان يكتم نسبه فسئل عن ذلك فقال إني انزل دائما علي قبائل العرب وأحب أن لايعرفوني خفية أن يكون لهم في قومي ثائر وجاء في سرح لأحد في قبيلتي فيقتلني.

[2]ديوان المتنبي _ دار الجيل –بيروت –ص7

أما السبب الصحيح لهذا الكتمان وهو صنعة النسب وكان قومي الحافظة أحبر وراق قال :مارأيت احفظ من أبن عيدان قط كان يوما عندي وقد احضر رجل كتاباً في نحو الثلاثين ورقة ليبيعه فأخذه أبن عيدان فنظر فيه طويلا فقال له الرجل ياهذا اريد بيعه, فقد قطعتني عن ذلك , فإن كنت تريد حفظه فهذا يكون بعد شهرين إن شاء اللة فقال: له ابن عيدان إن كنت حفته في هذه المرة عن مايلي عليك؟قال اهب لك الكتاب ثم أحذت الدفتر من يده فأقبل يتلوه حتي إنتهي إلي آخره[3].

وكان المتنبي من بني جعفى من سعيد العثيرة بني مزجح ,وهي بيلة يمانية فيها فصاحة ينهى نسبها إلى بني كهلان, وكنيته أبو الطيب ,ولقبه المتنبي ,ويل لقب به لإدعائه النبوة[4].

دعوة المتنبي النبوة:

لبس المتنبي بعد موت أبيه يطوف بين الشام والعراق وينتقل في البادية مصاحبا الأعراب.

كانت الديار الإسلامية يؤمئذ دار للفتن , والدعوات فالعراق من قرامطة وإسماعيلية وسواهم يدعون للرضاء.

من أبناء علي , أو يبشرون الناس بظهور المهدي ليطهر الأرض من الجور والفساد.

والخوارج علي السلطات يؤرثون نار الفتن في الأمطار ويتسولون علبها عنوة حتي باتت الخواطر عليه دائم لرسول بعثته أسماء وإلي أي خارجي مغامر يملك الأرض ويحتل مكان ملك آخر.

وكان ابي الطيب ينظر إلي هذه الأحوال القلقة , ويغلبها علي وجهها ويستكشف الأفكار المضطربة , ويبرز حصائها, فحدثته نفسه الطموح بأن يلقي دلوه في الدلاء , ولم يفعل في قلبه جراءة وإعتداء في لسانه فصاحة وبيان وكان له في الأعراب أصحاب وخلان لكثرة اختلاطه بهم ومرافقتهم في حل وترحال , فاعتمد عليهم في لبث دعوته , فاجتمعت إليه بعض القبائل الضاربة في البادية.

وفاته:

[3]مروان عبود –أدباء العرب في العصر العباسي -1979م-ط1-ص323.

[4]خلف رشيد معمار – الاموضح في شرح شعر المتنبي -200ه-دار الشوؤن-ط1-1/1-ص12

مقتله إختلف فيه الرواة ,فمنهم قال:إن قاتله ابن جهم الاسدي، كان مقتله في 28رمضان. أما سبب قتله فقيل هو تللك القصيدة التي هجا بها ضبة شقيقه فاتك[5].

فلما بلغته القصيدة أحذ الغضب منه كل مأحذ وأضمر السوء ولما بلغة مغادرة المتنبي لبلاد فارس وعلم اجتيازه بجبل دير العاقول تتبع أثره وكان أبوالطيب قد مرٌ بأبي نصر محمد الحلبي فأطلعه علي حقيقة الأمر وماينويه من الشر له ونصحه بأن يصحب معه أحدا قائلاً :انا[6] والجزار في عنقي فما بي حاجة إلي مؤنس ثم قال:واللة لأرضي أن يتحدث الناس بأني سرت في حقارة غير سيفي فحذره أبوالنصر كثيراَ فما كان منه إلا أن أجاب : أينجو الطير تخوفي ومن عبيد العصا تخاف عليّ ؟ ولو أن محصرتي هذه ملقاه علي شاطئ الفرات وبنو أسد معطشون لخمس, وقد نظر الماء كبطون الحيات ماجسر لهم خف ولاظل أن يرده , معاذ اللة أن اشعل فكري بهم لحظة عين فقال:أبوالنصر إن شاءاللة ,فقال :هي كلمة مقولة لاتدفع مقضأ ولا تستجلب أتيا ,ثم ركب فلقيه فاتك في الطريق فقتله.

المبحث الثاني:

أخلاقه وصفاته وتعليمه[7] :

يصور لنا شعر المتنبي أخص مايمتاز به صاحبه الصفات ففيه الكبرياء والأنفه , والشجاعة , والطموح , وحب المغامرات وفيه التعفف والترصن وجانبة اللهو والهزل حتي أن شاعرنا كان يكره الخمر لأنها تضيع العقل.

ومن يعلو نفسه إلي منازل الأنبياء والرسل لايرجي منه تحرج في الدين فقد روى إن أبا الطيب لم يكن يصوم ولايصلي ولايقرأ القران الكريم ولكنه كان وافياً لأصحابه فقد ترك حلب غاضباً مقهوراً ، و كان يكره التمويه و الخداع ، فقد شاب وهو غلام يغتضب لأن الاغتضاب تمويه .

---

[5]سنة 354أيلول سنة 965م

[6]جورج غريب –المتنبي –دار الثقافة –1967م-ط1 -1/1 –ص15-16.

[7]مروان عبود –أدباء العرب في العصر العباسي –ص210.

و من أخلاقه و صفاته في ذكر الذين كتبوا عنه و عاصروه ,حدث علي بن حمزة قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث خصائل محمودة و ذلك أنه ما كذب ، و لا زنى و لا لاط, و بلوت منه ثلاث خصائل مذمومة و ذلك أنه لا صام ، و لا صلى ، و لا قرأ القرآن الكريم.

و لم يترك ناقل هذا الخبر دون أن يطلق عليه . و هي أنه ما قرأ القرآن فإني أظن الراوي يريد أنه قرأ القرآن و تجهراً و تعبداً .فإن مثل المتنبئ فضله وأدبه و دهائه لا يفوته أن يقرأ القرآن الكريم و يدرسه ويتظهره و أي قيمة لأديب في العربية لم يقرأ القرآن . وقيل ابن فروجة البروجردي : كان المتنبئ رجلاً داهية مرَ اللسان شجاعاً حافظاً للأدب عارفاً لأخلاق الملوك ولم يكن ما يشنه إلا بخله و شرهه على المال.

و ذكر أنه لم يكن من أهل اللهو و المجون و معاقرة الخمر و لم يكن مازحاً و كان جاداً و لم يعرف عنه أنه ضحك بصوت وإذا أسره شيء تبسم وكان يميل للبداوة ويفضلها على الحضر ,كان ينفر من التكلف وكان وفياً لأصحابه .
إن المساوي التي عددها الثعالبي لم يجدها بنفسه إنما تلقطها من رسالة الصاحب للكشف عن مساوئ المتنبي , أو من وساطة الجلرجاني أو من كتب النقد الآخرى ,ونحن لا نريد أن نعود إليها بعد ان عرضنا لها في فصل الخصومة ,وورودها في التيمة لا يفيدنا جديداً اللهم إلا أن نستنتج أنه كانت في ذلك الحين قد قبلت وسلم بها الجميع ؛ لأن الثعالبي كما قلنا يمثل الرأى المتوسط في كل شيء[8].

وهنا يكون لقوله (الخروج عن طري الشعر إلى طريق الفلسفة) كإحدى المساوئ دلالة تاريخية لها قيمتها إذ يشهد بأن الرأي الغالب في ذلك العمر (أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع)كان لايزال يفصل الشعر عن الفلسفة ,ويرى في الخروج عن (طريق الشعر إلى الفلسفة)عيباً يحط من قيمة الشعر ولا يظن القارئ أن مايعيبه أيضاً الأفكار الفلسفية ,حتى ولو كانت مستقيمة الصياغة عادية الألفاظ كقول المتنبي[9]

والأسى قبل فرقة الروح عجزاً والأسى لا يكون بعد الفراق[10]

وقوله:

إلف هذا الهواء أوقع في الأنفس أن الحـــــــمام مر المذاق

[8]الدكتور محمد مندور – النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الآدب واللغة –ص314
[9]مروان عبود –أدباء العرب في العصر العباسي –ص325
[10]خلف رشيد نعمان – الموضح في شرح شعر المتنبي – ص1.

وأمثال ذلك من المعاني العلائية النغمة ,وأما المحاسن فقد جمع فيها الثعالبي ,بين المحاسن و الخصائص ,كما خلط بين المعاني وتجويد العبارة عنها ,ولهذا نرأه يتحدث عن الإبداع في المدح إلى جوار مخاطبة الممدوح بمثل مخاطبة المحبوب مع أن الإبداع إن كان من محاسن الشاعر ,فإن استعمال لغة الحب في المدح ,من خصائصه العظيمة الأهمية في دلالاتها على تحليته ,كذلك غداه يعد التشبيب بالأعرابيات من محاسنه مع أن هذا من معانيه التي تدل على اتجاه خاص في ذوق الشاعر ,الذي يفضل الجمال المطبوع على الجمال المصنوع ,والتشبيب بالأعرابيات يعد شيء ,وتجويد ذلك التشبيب شيء آخر .

ونحن لا نريد أن نستعرض كل ما عدده الثعالبي فهذا أشبه بالنقط التي يصنعها المرسون لطلبة المدارس منه بالنقد المفصل المعلل ,ومن السهل على القارئ أن يعود إلى ذلك في اليتيمة ,وإنما نقف عند ملاحظة وأحدة لأهميتها وجدتها وهي قوله :إن المتنبي يخاطبه الممدوح من الملوك بمثل مخاطبة المحبوب ,ثم استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد.
يقول الثعالبي عن مخاطبة الممدوح بمثل مخاطبة المحبوب : إن هذا مذهب تفرد به المتنبي واستكثر من سلوكه ,اقتداراً منه وتبحراً في الألفاظ والمعاني ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء وتدريجاً لها إلى مماثلة الملوك ,في مثل قوله لكافور :

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
وما شئت إلا أن أدل عوازلـــي على أن رأي في هواك صواب

وقوله لسيف الدولة :

مالي أكتم حباً قد برى جســدي وتداعى حب سيف الدولة الأمم
إن كان يجمعنا حب لغــرتــه فليت أنا بقدر الحـــب نقتـــسم
يا أعدل الاناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
يا من يعز علينا أن نــفاـرقهم وجــدنا كل شـــيء بعـدكم عدم

والذي نراه في حياة المتنبي وشعره أنه قد أخلص لسيف الدولة المودة ,وإن نغمات الحب في مدحه له صادقة ,وإن تلك المودة التي دامت تسع سنوات ,قد انتهت بأن جعلت استخدام لغة الحب في المدح إحدى خصائص الشاعر .
ثم إنأبا الطيب كان رجلاً قوي الانفعال سريع التأثر عنيف الإحساس ,زخرت نفسه ففاضت ,ولغة الحب من الناحية النفسية هي منفذ كل شعور حار , ومن ثم جاء مدحه أشبه بالغزل ,كما جاء حديثه عن الحرب عشقاً , فالطعن والقتل والحرب عاشقة للشجعان .
وآخيراً كان شاعرنا رجلاً طموحاً ,والطوح من طبيعته أن يخلط بين الغايات والوسائل ,وإذا اجتمعت السذاجة إلى االطموح كما حدث عند المتنبي ,لم يكن غريباً أن يحب الرجال الذين رأى فيهم وسائل إلى غايته ,وأن يسرف في هذا الحب عندما تخيل إليه سذاجةً أن تلك الغايات

المحبوبة قد تتحقق أو أصبحت في حكم المتحققة ,وأما عن رغبته في أن يرفع نفسه إلى مرتبة ممدوحيه بمخاطبته لهم بلغة الحب فأمر قد يكون صحيحاً في مدحه لكافور وابن العميد وعضد الدولة ,وأما مدحه لسيف الدولة فقد كان مدحاً صادقاً لا تكلف فيهولا إلتواء وهو صادر حقاً عن قلب الشاعر الذي رأى في أمير حلب رجلاً شهماً كريماً ,وقد زاده حباً له كونه عربياً شجاعاً في زمن غلب فيه الأعاجم وسيطروا على العرب في كل مكان ,إلا في حلب حيث كان يرابض سيف الدولة يحمي الثغور ضد الروم المجيد وضد أمراء بيزنطة أعداء العرب جميعاً, ولقد ترك المتنبي أمير حلب مغضباً ومكث في مصر عند أعداء بني حمدان أربع سنوات ,وعادإلى العراق ومع ذلك لم يهجُ قط صديقه ولا عدا في ذكره له حد العتاب الذي تفاوت ليناً وعنفاً بتفاوت حالات الشاعر النفسية . فدعاه سيف الدولة إلى أن يعود إلى جواره فاعتذر ,ومع ذلك لم يكتم فرحه بخطاب تلك الدعوة الكريمة التي أتته من صديقه القديم ,ولقد عبر عن حزنه لفراق ذلك الصديق غير مرة في شعر صادق جميل مؤثر وبخاصة أثناء إقامته بمصر ,كقوله:

حببتك قلبي قبل حب من نأى وقد كان غداراً فكن أنت وفـــيا
خلقـــت ألـــوفاً لو الصـــبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وقوله في قصيدة آخرى :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا العجز والوصل أعجب
أما تـغلط الأيـــام في بـــأن أرى بغيـضاً تـــنائ أو حبيـــباً تقـــرب

وأخيراً قوله :

أود مـــن الأيـــام مـــا لا تـــوده وأشـــكو إليـــها بيـــننا وهي جنـــده
أبى خلق الدنيا حبـيباً تديـــمه فما طلبـــي منـــها حبـــيباً تـــرده

وإذن فقد كان حبه لسيف الدولة حباً مخلصاً فاضت به نفسه ,وتكلف وساقته الدوافع الخفية عند مدحه لغير هذا الأمير العظيم كما ذكرنا ,وهنا تصح أيضاً ملاحظة الثعالبي الأخرى عن مقدرة الشاعر الفنية في تصريف المعاني وإجادة النقل والتلاعب بالكلام .

تعليمه: طلب المتنبي العلم في صباه ورغم في تحصيله فحمله والده الي الشام فادخله المكاتب وخوّف به الحواضر والبوادي ورده في القبايل حتى توفي ابوه وقد ترعرع ابو الطيب وشعر وبرع وكان يلزم حوانيت الوراقين ويقصد اشهر اصحاب اللغة والادب في الشام والعراق وياحذ منهم فقد جالس ابن السراج والاخفش والاصفر وابن دريد وابا علي العربي واخذ عنهم .ولم ينفك يتوقل في البادية ويصاحب الاعراب حتى صار بدوياً قحاً فصيح اللسان عالماً بمذاهب الكلام ,ومطلعاً على غريب اللغة وحواشيها واسع الرواية

لايسأل عن شيء إلا استشهد له بكلام العرب ,من النظم والنثر حتى قيل أن الشيخ أبا علي الفارسي سأله كم لنا من الجموع على وزن فعلى ؟ فقال :في الحال (هجلي وظربي) قال الشيح أبو علي :فطالعت كتب اللغة ثلاث ليالي على أن أجد لهذين الجمعين ثالثاً فلم أجده ,وكان كثير الدروس عنها يطوي معظم ليله والكتاب بيده ,ولايدخل إلا والدفاتر معه ,لايستطيع عنها صبراً وهو القائل :(وخير جليس في الزمان كتاب)وكان له إلمام بالعلوم الداخلية وفي شعره أراء كثيرة إقتبسها من فلاسفة اليونان ولا سيما أرسطو .

ويقف بعض الذين ترجموا له أنه زاد في تعليمه مما أفاده من دكاكين الوراقين ومصاحبة الأعراب.[11]

في البادية وتلقيه العلم على جماعة من علماء بغداد ,فدرس على يد السكري ونفطويه وابن درستويه ,ولقي أبا بكر محمد بن دريد وقرأ عليه ,كما لقي أبا القاسم عمر بن سيف البغدادي ,وأبا عمران موسى ,فطلب (الادب وعلم العربية ,ونظر في أيام الناس وتعلم قول الشعر في حداثته حتى بلغ الغاية التي فاق بها اهل عصره ,وطاول شعراء وقته ,ثم رحل إلى الشام سنة 321ه وقد بلغ الثامن عشر على قدره الذين ترجم لهم رحلته في طلب المجد وعلو الشأن .
وفي تلك الحقبة كانت بلاد الشام مسرحاً للمنازعات بين الإخشيدي وبين ابن رائق ,ثم بين الإخشيدي وبين سيف الدولة ,وكل منهم يحاول الإستيلاء على أجزاء منها ,واستمرت المنازعات بينهما ,ثم استقر الحال في سنة 333ه على استيلاء سيف الدولة لحلب ,وبقاء الإخشيدين في دمشق . وفي منبج حيث أقام أبا الطيب مدة,مدح جماعة من رؤساء العرب منهم سعيد بن عبد الله الكلابي ,ومدح جماعة من ولاة تلك المنطقة ,منهم :(مساور بن محمد الدومي ,والحسين بن عبد الله بن طفج ,وهوابن أخ الإخشيدي الطاهر العلوي .
ومن المعروف أن أبا الطيب سجن في أيام شبابه بالشام والرواة يختلفون في سبب سجنه يقول: الخطيب البغدادي :(لما خرج الي حلب وأقام فيها ادعي أنه علوي ,ثم ادعي بعد ذلك النبوه ثم عاد يدعي انه علوي ,إلي أن أشهد عليه بالكذب في الدعويين ,وحبس دهراً طويلاً ,وأشرف على القتل ,ثم استتيب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق),وهناك رواية آخرى تقول :(أنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيد فقاتله وأسره وشدد من اجتمع عليه من حلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وقضى في السجن حبساً طويلاً فاعتل وكاد أن يتلف حتى سئل في أمره فاستتابه ,وكتب وثيقة أشهد عليها ببطلان ما ادعاه ورجوعه للإسلام ,وفي كتاب الصبح المتنبي ما يفيد أن أبا الطيب قدم إلى اللاذقية وذلك بعد نيف وعشرين وثلاث مئة ,اتصل بأبي عبد الله معاز بن اسماعيل اللاذيقي الذي قال له

[11]الدكتور محمد مندور – النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة – ص317-319

:والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمته ملك كبير ,فقال : ويحك ,أتدري ما تقول أنا نبي مرسل ...الخ , إلى أخر القصة المفتعلة التي لا أرغب في سردها فهي لا تعدوا من أن تكون مكذوبة ,قد نسج مفرداتها خصومه للنيل منه ,ويقولون : لما شاع ذكره وخرج بأرض سليمة من أعمال حمص ,قبض عليه ابن علي الهاشمي ,وأمر بخاراً أن يجعل في رجله ويده وعنقه قرمتين من خشب الصفاف . لقد كان المتنبي رجلاً عالي الهمة كبير الطوح يمتلك عقلاً راجحاً وقلباً شجاعاً ,مع غرور واعتداد واستعلاء ,وعندما يلتفت حوله يرى تلك الزعانف تمتلك البلاد وتتحكم بإمور العباد ,فما الذي يمنعه من أن يطلب الرئاسة والسلطان لنفسه ,وفيه من القدرات والطاقات ماتعده وتهئيه لذلك والشعوب والأقوام من حوله

في صياع وضعف ,وهي مستعدة لكل واثب وطامح ,يقول:

وإنما الناس بالمــلوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب ولا عــهود لهم ولا ذمم
في كل أرض وطئتها أمم تدعي بعبد كأنها غـــنم

لقد حاول المتنبي القيام بثورة ,يقول الثعالبي :

(إن المتنبي دعا إلى بيعته قوماً من رائشي نبله على حداثة[12]
سنه ,والقضاضة من عودته ,وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره للوالي , ورفع إليه ماهم به من الخروج فأمر بحبسه)ولقد خابت محاولته تلك التي صورها خصومه بإدعائه النبوة سخرية منه ’وإثارة الدهماء عليه ,ولعل الذي قبض عليهم من أنصاره أشاعوا عنه ذلك ليسلموا بأنفسهم من تهمة الخروج معه , لثقتهم بأن الوالي لا يسوءه إحداث فتنة في الدين ,بقدر ما يزعجه إحداث فتنة في الحكم .

والذي يقرا القطعة الشعرية, تلك التي يخاطب فيها معاذ بن اسماعيل اللاذقي الذي نسج قصة نبوته يجد انها خلت من اي دعوى لنبوة سواء كانت تلميحا اوتصريحا الا من دعوى و

محاولة الخطوب والخاطرة بما يلمح اليه من سودد وهي القطعة التي يستهلها بقوله :
انا عبدالله معاذ اني خفي عنك في الهيجا مقامي ويذهب ابو
الفتح بني جني الي القول (وكان قوم وشوا به الي السلطان في صباه وتكذبوا عليه وقالوا له لقد انقاد له خلق كشير من العرب ,وقد عزم علي احذ بلدك , حتي اوحشو منه ,فاعتقله , وضيق عليه .

[12]نظير عبود أدباء العرب في الأعصر العباسية –ص 327.

ويري ان بعضهم لقبوه بالمتنبي لا بيات وردت في قصيده له مشل قوله :
انا في امه تداركها الله غريب كصالح في ثمود

وقوله قبل ذلك في نفس القصيده :
ما مقامي بارض نخله الا كما قام المسيح بين اليهود وابو الفتح
هو اول شارح لديوانه . ومن الذين عاصروه ,وكان من اقرب الناس اليه . فقد اتاحت له علاقة الادب ان يطلع علي خفايا افكاره التي تتناثر في دايوانه ,وكان في نفس المتنبي مثل هذ الادعاء لما خفي علي ابي الفتح الذي قال انهم تكزبوا عليه عندما وشوا به الي السلطان . ويبدو ان هذه الابيات وامثالها يتصداها الحاسدون , وهم يطلقون امثال هذه النموت عليه لنيل منه[13]

المبحث الثالث

شعره وشخصيته

شعر المتنبي :

الحديث في شعر المتنبي كالحديث في المتنبي نفسه تحيط به هاله من المجد وتمزج به معاني من العظمه, ولايسطيع المتحدث فيه ان يحدد رسومه , او يخطط ابعاده او يبن معالمه او يقرب مسافاته المتتائبه ولكنه يجد نفسه امام عبقريته تتفجر بالروايح , وتجي بالدرر وتجود بالنفائيس , تسخوا للناس بكل عظيم وذا كان الشعر صوره لنفس الشاعر وانعكاس لوجدانه وشعوره واماله وطموحه ورضاه وغضبه ورضاء وسعادته , فان شعر المتنبي كان فيه ترفعا وركبرياء واتزان وعفه ,واحترام للحق , واحتقار للباطل , وسخريه من المطلق توديه علي الهون والضم, وحريه للتمويه والكذب ,وغضبه للرق والعبوديه وعدم رضاه عن الفوضه التي كانت تسود المجتمعات والاوساط في وقته والدارسون لشعر ابي الطيب والباحثون فيه يقسمون شعره علي اربع مراحل تواكب مراحل حياته منذان ظهر علي المسرح العربي الي يوم مماته[14]

فالمرحله الأولي :

وهي مرحله الشباب التي تمتد منذ الحداثه الي منتصف العقد الرابع من عمره وكتن فيها متجولا في ربوع العراق والشام وفلسطين باحثا عن المجد وتاكيد الذات ,ذاكرا ما يعتلج من الم الحرمان وقسوة الدهر فجاءت قصائدهذه المرحله يوكد معرفته اللغويه والاكثار من التعقيد الفظي والمعنوي .
أما الثانية : فتستمل علي شعره في حلب الي ذمن مفارقته سيف الدوله فتمتد بين الرابعه

[13]سلسلة خزانة التراث الموضح في شرح شعر أبي الطيب المتنبي-ص 17-18
[14] أمراء الشعر في دولة بني العباس – مصطفى السيوفي – الدار الدولية للاستسمارات الثقافية –ص155.

والثلاثين الي الثالثه والاربعين وفي هذه المرحله يجسدفي الشعر مشاعر التمجيد للقوة والاشاده بالبطوله في ساحات الحرب وعظمة الانتصار كما يصاحبها مشاعر القلق وعدم الاستقرار من الخصوم والحساد وفيها يسود سعره شي من التكلف والتفاصح في استعمال الغريب ليكشف عن مدى اطلاعه وغزارة معرفته من اللغة في بلاط سيف الدوله الذي يعج بشعراء والادباء واللغوين والفلاسفة. أما المرحله الثالثة : تشتمل علي الشعر الذي انشده في مصر في المدة الواقعه بين خروجه من حلب ودخوله مصر الي خروجه منها.ويكون فيه متاملا ومتانيا ينتقي الفاظه ويختار معانيها ,ويتقن صياغته ويشهد له دارسواشعره في هذه المرحلة بالنضج الذي بلغ فيه المدي

المرحلة الرابعة: تشتمل علي شعره في العراق وفارس القسم الاول في هذه المرحله شعره في العراق في مدح سيف االدوله ورثاء اخته القسم الثاني في فارس في مدح ابن العميدوعضدسيف الدوله

ويري الدارسون ان شعره في هذه المرحلهة اقل جوده في شعره في حلب ومصر ولابد ان تكون هناك عوامل نفسيه اثرت فيه وجعلته يخلو من مشاعر الحدة والانفعال التي كانت تصاحب شعره في المرحلة السابقة .

لقد عبر المتنبي عن الحياة التي بلاها وذاق مرها وحلوها كما اكسبته تجربته الطويلة في مشاهدة الناس والتعامل معهم ,ومن تأمل الأحداث وما انطوت عليه ,مادة فكرية ووجدانية ثرة ,فصاغ ما تجمع لديه بتلك الفرائد من الأبيات التي باتت تتردد على كل لسان ,وليس عجباًإذا سمعنا من يقول :(ما اجتمع اثنان إلا وكان المتنبي ثالثهما).

لقد صاغ تجاربه بتلك الأبيات التي جرت على كل لسان مجرى الأمثال والحكم ,ولم تخل قصيدة له من حكمة أو مثل ,وربما تجمعت في الواحدة مجموعة من الفرائد من الأمثال والحكم. وعندما سئل المتنبي عن البحتري وأبو تمام وعن نفسه ,قال :((أنا وأبو تمام حكيمان ,والشاعر البحتري)) ولعمري أنه أنصف في حكمه وأعرب عن معرفته نفسه في هذه الوفرة من الأمثال والحكم التي جاءت صياغتها آية من آيات البلاغة والإيجاز في تكثيف للمعنى يأخذ بلب السامع ,يطلاحه في بيت واحد أو ينصف بيت أو يعلق بالآذان في موسيقى رائعة بدون استئذان ,ثم يستقر في الوجدان فيردده اللسان بين حين وآخر دون مشقة أوعسر لسهولة حفظه وإنسيابه من الذهن إلى اللسان.

لقد جمع الشريف بن الشجري طائفة من الأمثال والحكم في مجلسه الرابع والثمانين من كتابه (الأمالي الشجرية)قال في أوله:(هذا فضل أنبه فيه علي فضائل أبي الطيب وأورد فيه عرداً من حكمه)

فمن بدائعه قوله:

لايسلم الشرف الرفيع من الأذي حتي يراق علي جوانبه الدم

قال أبوالفتح بن جني في شرحه :(أشهد بالله لو لم يقل المتنبي إلا هذا البيت لوجب أن يتقدم كثيرا من المجيدين)

وقوله: مصائب قوم عند قوم فوائد بذا قفت الأيام بيـــــــن أهلها

وقوله :

إن النفيس غريب حيثما كان وهكذا كنت في أهلي وفي وطني

وقوله:

ومن نكد الدنيا علي الحر أن يري عدوا له مامن صـــــــــداقته بدُ(1)

شاعر بلا إله:

من المؤكد أن للقرامطة تأثيرا مباشرا في أفكار المتنبي ومغامرته متبيناً ,فما يقال عبر الصحراء نستشف منها دون أون نضع في حسباننا أدلة أخرى ,أن روح المتنبي كان يوجد على مسافة بعيدة من الرشد[15].
الإسلامي الخالص .

ومن الواضح أن شعره لا يحمل إشارات صريحة بإلحاد أو كفر كما لايعكس أيضا عقيدة أوتدينا غير أننا نشم في قصائده كلها رائحة تشاؤم عميق لايترك غير القليل من الفجوات للشك فيما يتصل بالمواقف الداخلية للشاعر.

كانت فترته حرجه في تاريخ العلم الأسلامي إنه العصر الذي درسه آدم تحت عنوان (نهضة الإسلام) فلاعجب إذن أن نجد كتابا مشككين وحاله شاعر المعري الضرير (أبوالعلاءالمعري) قد ولد عام973م وتوفي 1057ممن أوضح الدلائل عليه لكن عدم تدين المتنبي له جانبا متميز يقرب كثيرا من مذهب الفيلسوف الألماني نيتشه ومن الغريب أن هذاالجانب من فكر المتنبي

[15]الموضح في شعر أبي الطيب المتنبي – أبي زكريا بن علي التربيزي -1/1 –ص 37-39

يلتقي مع بعض تيارات الفكر الأدبي المعاصر ,فالمتنبي يشعر بالضجر من عصره ويتمني لوعاش في زمن اخص

بقوله: الدهر يعجب من حمل نوائبه وصبر جسمي علي أحداثه الحطم

وقت يضيع وعمر ليت مدته في غير أمته من ســـــالف الأمم

أتي الزمان بنوه في شبيـبته فســـرهم وأتـــيناه علي الـــهرم

والناس يتنزون شرا وبدل أن يخففوا قسوة القدر المدمرة يستعجلونها

كلما أنبـــــت الزمان قنـــاة ركب المـــــرء في القنـــاة ســـنانا

ومن ثم فإن علي الرجل أن يصمت ويتحمل لواجع آلامه في صوفية دون ان يندب حظه أمام طغائه

ولاتشكو إلي خلق فتـــشتمه شكوى الجريح إلي الغربان والرخم

شاعر بلا حب:

ليس بغريب أن نجد شاعرا مسلما غير مؤمن أوغيرملتزم بحدود الدين وبحاصة في هذا العصر علي نحو ماذكرنا من قبل, لكن الشعراء الذين في مثل هذا الموقف الفكري تعودوا أن يصنعوا لهم ديناً مكملاً عبادة اللذه.

كانت القصيدة العربية في القديم دنيوية قلما تهتم بالدين وكان الإتجاه العام للأدب العربي يشد مبدعيه بقوة نحو المراء ومراعاة التقاليد الأدبية السائدة حتي ان أصحاب الفكر الديني كانوا يخفون مشاعرهم خجلاً وراء الأشكال البديعية ويتظاهرون بلاغة بأنهم يتقربون وأكثرمن ذلك كان الصوفيون أنفسم يلغون تجاربهم الباطنية وتسطحاتهم الروحية في رموز غزلية وخمرية ومن ثم فإن القصيدة الإسلامية تبدو أمام عين[16].

الغربين عبارة عن ملهاه مترنحة بقصر فاتن ذات ظلال إنسانية عريضة كؤوس خمر ومجامر عود واكوام من الزهر والحق أن جانبا كبيرا منها ينضح بالشبق ذكرأنيق وحزين.

من الأمور المطروقة في القصيدة العربية القديمة علي ماهو معروف وقوف الشاعر بمنازل الحبيبة في الصحراء وقد رحلت عنها يقف بأطلالها متغزلا وباكيا يصف الأثافي والقدور

[16]مع شعراء الأندلس والمتنبي – إميليو غرسية غموت – دار الفكر العربي – ص25.

ولوحتها النار وأوتاد الخيام والدوارس المهجورة وحظائر الإبل ولايكاد الشاعر مستغرقا في حبه.

والنساء اللأئي يروى في شعر المتنبي ظلال عابرة وأشباح شفافة لاتدعي أي عاطفة مهما عظمت القدرة علي تجسيدها غنها بواعث رقيقة لصور تشبيهيه يترجم بها الشاعر عن إلهامه وفاءً لتقاليد جنسه قبل أ ن يرسو علي الدافع الجواهري للقصيدة مجرد مطلع كسول ينضج بالوقع المنغم والإنفعالات الرخية

تخلو الديار من الظباء وعنده من كل تابعة خيـــال خـــاذل

شخصيته:

ولعلنا نقترب من شخصية المتنبي إذا حاولنا أن نقدم صورة قلمية من خلال ماذكر الذين كتبوا عنه ممن عاصروه حدث علي بن حمزه قال بلوت من أبي الطيب ثلاث خصال محموده...الخ

وقال آخر وكان كما قيل بخيلا ولعل مرد ذلك حرصه علي المال ليبلغ به مراده ويستعين به علي تحقيق آماله في الولاية والقيادة فقد عرف قيمته كما ذكر منذ أن كان صبياً سئل مرة من ذلك فقال إن للبخل سببا وذلك أني أذكر قد وردت في صباي من الكوفة غلي بغداد فمررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة فرأيت خمس بطيخات باكوره فاستحسنتها ونويت أن اشتريها بالدراهم التي معي فتقدمت إليه وقلت بكم هذه الخمس بطاطيخ؟فقال بغير فقال إذهب فليس هذا من اكلك ,فتماسكت معه وقلت :أيها الرجل دع ما يغبط وأقصد الثمن ,فقال : ثمنها عشرة دراهم فلشدة ما جبهني به لم استطع ان اخاطبه فى المساومه فوقفت حائراً ودفعت له خمس دراهم فلم يقبل واذا بشيخ من التجار خرج من الدكان ذاهبا الى داره فوثب اليه صاحب البطيخ من دكانه ودعا له وقال :يا مولاي هذا بطيخ باكوره باجازتك ,احمله الى منزاك فقال الشيخ ويحك بكم هذا فقال بخمس دراهم فقال بل بدرهمين فباعه الخمس بدرهمين وحملها الى داره ودعا لهم وعاد الى دكانه مسرورا بما فعله فقلت :ياهذا ماريت اعجب من جهلك استمت على من هذا البطيخ وفعلت فعلتك التى فعلت .وكنت قد أعطيتك فى ثمنه خمسه دراهم فبعثه بدرهمين محمولا فقال :اسكت هذا يملك مئه الف دينار .وانا لا ازال على ما تراه حتى اسمع الناس يقولون :ان ابا الطيب قد ملك مئه الف دينار. ولم تكن حياة ابى الطيب تتسع للحب فقد العرف منذ مطلع شبابه الى طلب المجد والغلا والتحريض على دفع الظلم والقهر افلم يلتفت الى الغانيات او لم يحفل بمعاشرئهن والتغزل بهن يقول فى ذالك :

لولا العلا لم تجب ما اجوب به وجناء حرف والاجرداء قيدود

وكان اطيب من سيفى مضاجعه اشباه رونقه الغـــــــيد الاماليد

ولم يعرف عنه أنه أحب امرأة معينة وأنه خصاها بقصيدة سوى ماأشيع من حبه ل(ست الناس) أخت سيف الدوله وعلى الرغم من ذلك نجد فى مطالع قصائده غزلا رقيقا كأنه صادر من أحد العشاق العاميدين الذين شفهم الوجد وزاقو لوعة الغرام, والمعروف عنه أنه تزوج بعد سنة تسع وعشرين وثلاثة مئه ,وكانت له عائلة يحن إليها ,وأن له ولدا اسمه محسد وأن زوجته من الشام وإن كانت المنية نالته ولم يحقق آماله فى حياتة, فقد بلغ فى شعره ماأراد, وفرق ماأمل واوراد لقد كتبت له شاعريته الخلود والذكر الدائم ويرتفع ذكره عالياً على مر العصور والدهور وبين الناطقين بلغة الضاد لغة القرآن الكريم يتجدد القه بين دارسيه مجى شعره.[17]

الفصل الثاني:

فلسفته وآراءه في الحياة وآراء النقاد في شعره:

المبحث الأول:

الحكمة وومضات العقل:

حيث تشتمل البيئة بالثقافة وتزخر بالمعرفة يكون شعرائها بعمق فكري ونظر عقلي ثم لايلبث وميض الفكر وأثر العقل أن يشكلا غلالا حكمية تفرض نفسها بين الحين والآخر علي نتاج هذا وحصاد ذاك من الشعراء إن النضوج العقلي والإكتساب الفكري إذا ما إجتمعا مع خبرة الأيام وتجارب السنين هيأت للشاعر أسباب القول الرصين بغض النظر عن عدد الابيات قلة وكثرة أوقصر وطول .

لقد كانت البيئة المصرية بحكم تأثير جامعة الفسطاط ذات لون ثقافي متميز وفكر علمي متأصل .

ويعد الشاعر أبو إسماعيل بن أحمد الرسي من بني طباطبا إلي المضئ في طريق حقيقة الحياة ومسيره الأيام ونهاية كل لذة ومنتهي كل حيً يقول

عرفت الديار على مابها وأوقفت ركبي علي بابها

وناديت فيها بأعلي النداء مرارا بأسماء أربـــابها

فلم أري فيها سوى بومها تصيح جهـــارا بأترابها

ومن الشعراء الذين وفدواإلي مصر وستقروا فيها بعض الوقت ومدحوا فيها كافور ووزيره ابن الفرات الشاعر علي بن عبدالله بن وصيف الذي أشتهر بالناشئ الأصغر الذي عاشر عددا من الملوك وقد خرج من معاشرته لهم بتجربة جليلة لخصها في بيتين من الشعر الرصين حيث **يقول:**

إذا أنا عاتبت المـــــلوك فإنما أخط بأقلامي علي الماء أحرفا

[17] الموضح في شعر أبي الطيب المتنبي –أبي زكريا بن علي التربيزي –ص25-27.

وهبه ارعوي بعد العتاب الم تكن مودته طبعا فصـــــارت تكلفا

المبحث الثاني

الوصف في شعر المتنبي:

إن الشعر فن جميل يخضع للبيئة , والشاعر الحاذق هو الذي يحسن تصوير بيئته والحسن هنا هو الدقة في وصفها والصدق في تقديمها ولكن ليس بوسيلة مباشرة وإنما بروح الشاعر وتصور الفنان وكلما قدم الشاعر أعماله في إطار من التخيل اللطيف ومضمار من التصرف الحاذق وعمد إلي إشاعة التقرير غير المباشر كان شعره أقرب إلي النفس وألصق بالمشاعر ولايعتبر الوصف في عرف أبن رشيف بابا من أبواب الشعر مثقلاً ,إنه أخذ الفنون باحجامها , ولايستقيم فن بدونه من هنا كان باستطاعتنا تلمس أوصاف المتنبي حيث للنجاح إطلاق من تضاعيف العقاد وإن له في الوصف وصف شعب بوانوهو مسيرة عضد الدولة وتصوير للطبيعة لم يبلغه في ماضي شعره وإن كان هذا التصوير اقرب إلي الغاية منه إلي الوصف الخالص ونلري ذلك **في وصفه للصيد:**

ماأجدر الأيـــام والليالي بأن تقـــوله ماله ومـــالي

وكان أحسن الوصف عند المتنبي:

ماتتمثل القوة, فيه لقرب الحماسة من نفسه ووصفه للأسد وتصوير للجهاد.

ففي وصفه للمعركة:

صدمتهم بخمس أنت غرته وسمهريته في وجهه غـمم

فكان أثبت مافيها جسـومهم يقطن حولك والأرواح تنهزم

ووصفه للأسد:

حرج بدر بن عمار إلي أسد فهرب منه وكان وكان قد خرج قبله إلي أسد آخر فهاجمه بقوة أفترسها بعد أن شبع وثقل ووثب إلي كفل فرسه فأعجله عن استلال سيفه فضربه ودار به الجيش فقال: أنت تري أن المتنبي قد أتم هذه القصيدة من وجوه فهو يذكر حلاوه التوحيد بلهجه

الساخر المهتدي وهو يشبه نفسه مرة بالمسيح ومرة بالصالح ويشبه المسلمين الذي كان يعيش فيهم مرة باليهود ومرة بثمود.

ووصف المتنب هذا الجهاد فوجد فيه نارا تضرم ولاتكاد تلمس قلبك حتي تشبع فيه وإذا قلبك يصطدم أيضا حماسة ونشاطة .

مصدر الوصف عند المتنبي:

لم يكن يصدر عن المدح لسيف الدولة والرغبة عن إرضائه وإثارة وإعجاب الناس به كما كان يفعل أبوتمام والبحتري.

ولكنه يصدر عما يثور في نفسه من العواطف وماكان يدور في رأيه من الخواطر حيث كان شهد موقعة ويتبع العدو منتصراً او يولى امامه منهزماً وكان يصدر مع هذا وذاك عن انفعالات المسلمين التى كان تسور حوله اثناء الاستعداد للحرب واثناء المعركه وبعد الانتصار والفرار .

ومن هنا نجد فى وصف المتنى لحروب سيف الدوله عند النفور فتوه عربيه فى اجتمتعيه وإن صح هذا الوصف , ترى هذا الفتوه تتشبع فى وصف المتنبى حبه قوميه مضطربه اضطرابا شديده لاضظراب كانها الكهرباء لا تكاد بتصل لهذا الشعر ينتقل اليك ماصور فيه المتنبى حياة هولاء المجاهدين وماكان يملوها من النشاط والاصل ,والايبتهاج والاكتئاب ,والايتناسب وفيه الثقه بالنفس والايمان بالحق والارتفاع عن المتنبى فى قصيدته مع الاشاره الى اشهر من وصف الاسد فى الادب العربى الى جانب ابى الطيب انتاب بديع الزمان الهمزانى على لسان بشير بطل مقامته البشريه والحترى حيث يقول فيها

مغفر الليث الهزيره بسوطه لمن ادخرت الصارم المصقوة

وقفــت على لادرن منه يلبه تصدى بها هام الرقاق وسهولا

ووصفه للبحيره :

لولاك لم اترك البحـــــــيره والفور دفئى دماؤها تبـــسم

والموج مثل البحـــور مذبده تهدر فيها ومابـــــها فسطم

كأنها والرياح وتضـــــربها جيشا وغى هارم ومنـــــهزم

وصفه لشعب بوان:

مغاني الشعب طيبا في المغاني بمنزله الربيـــــع من الزمان

ولكن الفتـــــي العربـــي فيها غريـــب الوجه واليد واللسان

ملاعب جنة لوســـــــار فيها سليـــمان لـــسار بترجـــمان

وصفه الحسان الكوفيات:

يتـــــرشفن من فمي كلمـــات هم فـيه أحلـــــي من التوحيد

ثم يمضي حتي يقول:

مامـــقامي بأرض ثـــــعلة إلا كمقام المسيـــــح بين اليهود

مذهب المتنبي في هذا الوصف:

مذهبه لاجهد فيه ولاعناء ولايظهر فيه الجهد والعناء فهو مذهب مأخوذ عن القدماء ايضا قد سلك فيه الشاعر طريق الشعراء من قبله يري صور الرياض فيقول أنها رياض لم ينشهأ السحاب فيري عمود الدر فيقول أنه در لمن ينتقيه ثاقب فلم ينظمه ناظم ومذهب القدماء حين كانوا يقولون ان عيون الحسان سهام لم يرثها وارث وانه مرض ولكنه صحاح.

والتشابهه الدقيق بين الحقائق والصور ينشا من دقة الصنعة وبداعة الفنان وهما سبيل المتنبي لإجادته الفنيه لهذا الوصف.

ولما كانت سنة ثمان واربعون وثلاثمائه عرض فرصه أخري كادت تدفع المتنبي إلي وصف الحرب ولكن الظروف حولتها عن وجهها فقد ثأر العقيلي في الشام واجتمع عدد من الاعراب وعرض النظام للخطر وأغار على دمشق وكاد يقتحمها ولكنه سقط فى الميدان اثناء الهجوم صريعا ميتا .

والمتنبى وصف معارك العرب والروم فرسم العدو ,يسبح فى نجيح من الدم وكأنه السحائب تمطر عليه الحديد والمنازل تضطرم فيها النيران والقنا تقرع القنا , وموج المنى يحول الفرسان متلاطم ثم يصور القتلى من الروح .

فانت تري ان المتنبي قد اتم هذه القصيده من وجوه فهو يزكر حلاوة التوحيد بلهجه الساخر المهتدي وهو يشبه نفسه ,مره بالمسيح ومره بصالح ويشبه المسلمين الذين كان يعيش فيهم مرة باليهود ومرة بثمود .

وصف المتنبي هذا الجهاد وجد فيه ناراً تضطرم ولا تكاد تلمس قلبك حتي تشبع فيه ,واذا قلبك يصطدم أيضاً حماسه ونشاط .

مصدر الوصف عند المتنبي :

لم يكن يصدر عن المدح لسيف الدولة والرغبه في إرضائه واثاره واعجاب الناس به كما كان يفعل ابو تمام والبحتري ولكنه يصدر عما يتور في نفسه من العواطف وماكان يدورفي رأيه من الخواطر حيث كان شهد موقعة ويتبع العدو منتصرآاو يولي امامه منهزماً وكان يصدر مع هذا وذاك عن إنفعالات المسلمين التي كانت تثور حوله أثناء الاستعداد للحرب وأثناء المعركه وبعد الانتصار.[18]

ومن هنا نجد وصف المتنبي لحروب سيف الدوله النفور فتوة عربية في إجتماعيه , وان صح هذا الوصف, ترى هذه الفتوة تتشبع في وصف المتنبي حبه قوميه مضطربه شديدة الاضطراب كأنها الكهرباء لاتكاد تتصل بهذا الشعر حتي يتنقل إليك ماصور فيه المتنبي حياة هولاء المجاهدين وما كان يملؤها من النشاط, والاصاله والإبتهاج , والإكتئاب وإلا يتناسب فيه الثقه بنفس والايمان بالحق والارتفاع عن صغائر الامور دآئماً.

المبحث الثالث:

الغزل:

حفلت البيئة الأدبيةالمصرية بثروة كبيرة من شعر الغزل ,إذا لاتكاد تجد شاعراً مصرياً عاش في أيام الإخشيدين دون أن يكون قد خلق لنا غزلاً رقيقاً , بل إن عدداً من الشعراء يبدون وكأنهم تحصصوا في ششعراء عر الطبيعة ومن أمثال ابن وكيع التنسي , وافراد أسرة طباطبا.

صحيح انه لم يوجد سعر عزري من ذلك الذي يجري علي سقف مدرسه جميل بن معمرو ذلك النسق الذي إرتبط بالبداوة, ثم مالبث بعض شعراء المدن والأمصار أن اسم الشاعر

[18]طه حسين - مع المتنبي - دار المعارف -1919م –ص18-25

من هؤلاء المقلدين قد حجب لماترددنا في نسبه شعره إلي البادية , فكثير من غزل بشار وأبي نواس , والعباس بن الأحنف , وأبي تمام والبحتري يحمل الصورة البدوية والعزرية لان غزل الحضر له لونه المتميز ومذاقه البين ,وهو غزل مختلف كل الإحتلاف عن شعر البداوة(1).

إن غزل الشعراء المصريين ينتسب إلي البيئة المصرية بشكل أصيل , ونحن لم نقتنع علي نص لشاعر مصري نهج فيه النهج العزري والبدوي , والسبب في ذلك واضح إذاكيف يبتدي الشاعر وهو يعيش الفسطاط علي ضفاف النيل متنقلاًبين شاطئيه ماراً بجزيرة الزبر جدته الخضرة الورافة الظلال, وكيف يتبدي الشاعر المصري وهو يتنقل من دير إلي نهيا إلي دير طمويه غلي بركه الجيش بين الرياض والحدائق ومنتزهات ومفترجات حسبما مر القول في فصل الديارات.

لقد كان الشاعر المصري والحال كذلك إذا ماتغزل كان غزله حضرياً وكان نسيبه أقرب إلي المادية غلا في القليل في مقدمة الشعراء المصرين الغزلين ابن وكيع التيسي وله غزل كثير وفن الغزل إذا لم يتسم بالرقة وحسن التصرف كان ثقيلاً علي النفس ومن هنا حاول التيسي ان يقدم صورا جديده في بعض غزلياته مثال ذلك قوله:

زارني في دجي الظلام البهيم قمر بأت مؤنسي ونديـــمي

بحديث كأنه عودة الصـــــحة في جسمي بعد يأس السقيم

تتلقي القـــــــلوب منه قبولاً كتلقي المخمور برد النسيم

ومن أبياته المفرطة لطفا وطرافةقوله في من هجره وقلاه وقد حاول أن يبحث عن السلوي وينشد النسيان:

سلا عن حبك القلب المشوق في مايصبو إليك ولايتوق

جفاؤك كـــــان عن لنا عذاء وقد يسلي عن الولد العقوق

ولأبن وكيع التيسي أنماط كثيره في شعر الغزل تفيض رقة وتنساب عزوبة ومن أشهر قصائده رباعيته الغزلية التي عرفت باسم القصيدة المربعه وهي قصيدة غزليه طويلة بلغت نحوا من تسعين بيتا في شكوى المحبوب ويستهلها هكذا

رسالة من كلف عـــــميد حياته في قبضة الصدود

بلغة الشوق مدى المجهود مافوق مايلقاه من مـــزيد

جاراً عليهٌ حاكم الغـــرام فرق أن يـــدرك بالأوهام

فلو أتاه طارق الحـــــمام لم يره من شدة الســـقام

له أهتزازوإرتيــاح وطرب لوجه من أورثه طول الكذب

فهل سمعتم في أحاديث العجب بمن مناه قرب من منه العطب

ومن شعر الغزل الأنيق أبيات الأديب الرقيق صالح بن رشدين حيث يقول:

قل لمـــــــولاي منــعما لم صرمت المتـــــــــيما

إن أعطشتـــــــــني إلي ك وابكيـــــــــــتني دما

فإذا شئت ان تـــــــري عاشـــــقا ميتـــــا ظـــما

فادر في ناظـــــــــري ك تجـــــــــدني توهما

إن صالحا يشكر الهجران ولكن في إطار من الضراعة وسياج من الشكوى وأما أبوهريرة أحمد بن عبدالله بن ابي العصام فينسج علي نفس المنوال من غزل وبراعة ولكن بعد أن يعطي المعشوق حقه من وصفه الجميل وبعد إشباع طبيعة الغرور فيه من الحديث عن الحب المكتوم والقلب المشغول إن أبا هريره يعتمد أيصا علي الإيقاع الشعري والنبض الغزلي وأختيار القافيه الموحيه من مايحمله قلبه من متاعب العشاق وذلك حين يقول:

كتبت حبك في قلبك فماوســـع هذا وليس له شغل سواه معـــه

يامن إذا مابدت للناس صورته رايت فيها فنون الحسن مجتمعه

والله ماحلت عما قد عهدت وما أصغيت أذنا إلي العزال مستمعه

رفقا بمن لوتسلي عنك ياأمـــلي بكل شئ عن الدنيا لمانفـــــعه

وشعراء الغزل المصرين الذين كانوا صوره لطبيعة المجتمع المصري من رقه التعبير ونقاء اللفظ وخفهه الإيقاع وبساطته أبن الفسطاط احمد بن محمد العوفيالذي يقدم هذا المثل الهامس الدامع:

ياموقظا طـــرف همي من بعد ماكان اغـــفي

نظن مابت أخفـــــــي ه من جوي لك يخـــفي

ولي لسان دمـــــــوع مايكتم الناس حـــرفا

إذا تظـــــلم طرفـــــي وقعت بالطرف يكفي

ما أقرب العوفي من ابن رشدين في النهج والحس والروح لكأنما الشاعران العاشقان يكتبان بقلم واحد ويعشقان بقلب واحد وقريب من روح الشعراء المحبين الذين تمثلنا لهم الشاعر المصري المعروف صالح بن مؤنس إنه يناجي معشوقه بهذه الصيغه الفريده من صور الغزل والفزع علي الفراق :

بعين الله أنت فإن عيني إذا ماغبت دامية الجفون

وإن الشعراء المحبين ألفو أن يشكو طول الليل وكان رائدهم في ذلك إمام الشعراء الجاهلين إمرؤ القيس في بيته المشهور:

فيالك من ليل كأن نجومه لكل مغار القتل شدت بيذبل

غير أن أحمد بن طباطبا يطرق غرضه باسلوب آخر إذ يجعل وسيلته نجوم الليل التي تسير نهارا وتتوقف ليللا عن المسير إنها صوره لطيفه وفكره بارعه أن يقول :

كأن نجوم الليل سارت نهارها فوافت عشاء وهي أنضاء أسفار

وفي مقام الغزل يشكو الشعراء البين ورحيل الأحباب وسرعه مرور أيام السرور والتقدم نحو المشيب وتمني العودة إلي الصبا بأغلي الاثمان لقد اثر الشعراء العشاق القول في هذا المضمار ولكن ابن طباطبا يؤكد شخصيته الشعريه العاشقه المتيمه المتحسرة المتمنية رجوع عجلة الزمان من خلال هذا القول العذب الأخاذ:

بانوا وابقو في حشاي لبينهم وجدا إذا ظعن الخليط

لله أيام الســـــــرور كأنما كانت لسرعه مرها أحلام

لقد كان أبن طباطبا شامحا في تعبيره مشرده إلي عمود الشعر غير محاول ان يترخص في حبه أويتهاوي في لفظه وربما جنح إلي صور من البداوة وكأنه بذلك يتمسك بارستقراطية القوى استمساكه باارستقراطيه نمط الحياة إن أبن طباطبا في مصر بأدبه وشعره لاونمط حياته ومكانته يقابل الشريف الرضي في بغداد غير أن ابن طباطبا عاش قبل الشريف الرضي بنحو ستين عاما فقد توفي الأول سنة354ه والثاني سنة 406ه.

وغزاله غازلتـــــــها في المقس من أولاد حام

يقص فيها إحدي مباذله في صراحة لايحمد عليها مع فتاة حبشية إلتقي بها في بستان المقس أحد منتزهات الفسطاط .

غير أن للتيسي غزليات رقيقه ناعمه , مترعه بالشكوى حافله بالعاطفه يقول في إحداها:

من صرع الدهر المشتت شملنا فالهر حكم في الجموع صدوع

وللنجم من بعد الرجوع إستقامة وللشمس من بعد الغروب طلوع

ولقد تورط الشعراء المصرين شأنهم في ذلك شأن بقية شعراء العرب منذ العصر العباسي في الغزل بالغلمان وكان الشعراء يذبون إلي الديارات فيعجبون بغلمانها ويتعلقون بهم ويقولون فيهم الغزل الذي ربما فاق الغزل بالمرأة .

إن المهلل بن يموت يتغزل في فتى متن فتيان الأديره بقوله:

شد زناره علي دقة الخـــص روشد القلوب في الزنار

وأسال الأصداع فوق الأعزار أنا من عشقه خليع العزار

وبدت منـــــه طرّه تذكر النّا ظر ليلاً يلوح فوق نـــهار

والقول في الأديرة كثير , ولقد استن هذه السنه شاعر الغلمان الأول أبي نواس ومن نماذج الغزل في الغلمان ماقاله الشهواجي في غلام ساق سكران, والغزل بالغلمان السقاة قديم وكثير وكان أول من جعل الغلمان السقاة موضوعا للغزل شاعر الخمر والغلمانيات أبي نواس يقول الشهواجي:

ومهفهف ساق أغن ســـقيته قبل الصبوح سلافة عذراء

ماصاح ديك الصبح إلاصيحة حتي توسد كفه إغـــــفاء

ولقد كافت البيئه المصريه بحكم الحياة الناعمة التي خلد إليها الشعراء مسهمه في فنون الشعر المترف المنبثق عن رفاهه الحياة في مقدمتها الغزل, ولكنه كان غزلا متميزاً بالطابع المحلي مرتبطا بالروح المحليه العزبه البعيده من التكلف[19]

[19]أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين – دكتور مصطفى الشكعة –الدار المصرية اللبنانية -1/1 -2001م –ص228-235

.

المبحث الرابع:

آراء النقاد في شعره:

قال بن جنى : (ومن هنا تشبت قوم لادراية لهم بعلم العربية باشياء من ظاهرلفظه الهاء تعود الي المتنبي اذا لم يكن لهم خبرة بدخيلة امره وحقا اقول:لقد شاهدته علي خلق قلما تكامل الا للعالم موقف .واما اختراعه للمعاني تغلغله فيه واستفاءه اياه فيما لايدفعه الا ضدُولا يستحسن معاندته الاند وما احسبني رايت احد غض من هذا الرجل وقتا من الزمان الا وشاهدته بعد ذلك قد رجع عنه واعادا الي تفضيله...

وما لهذا الرجل الفاضل عيب عند هؤلاء السقطة الجهال وذوي النذالة والسفال الا انه متاخر محدث.

وهل هذا...لو عقلوا الا فضيلة له ومنبهة عليه الا انه جاء في زمان يعقم الخواطر ويصدئ الاذهان فلم يذل فيه وحدة بلا مضاء يساميه ولانظير يعاليه)

وقال الصاحب بن عبادة:

(وكنت ذاكراً بعض من يتوسم بالادب والاشعار وقائليها والمجودين فيها .فسألني عن المتنبي فقلت انه بعيد المرمى في شعره كثير الاصابة في نظمه الا انه ربما ياتي بالفقرة العزاء مشفوعة بالكلمة العوراء)

وقال أبو القاسم الاصفهاني في إضاح في إضاح المشكل من شعرالمتنبي كما رواه صاحب خزانه الادب :

(واما الحكم عليه وعلي شعره فهو سريع الهجوم علي المعاني ونعت الخيل والحرب من خصائصه وما كان من خصائصه , وماكان يراد طبعه شيئمما كان يسمح به يقبل الساقط الرديْكما يقبل النادر البديع)

وقال القاضي الجرجاني في وساطته :

(وانا أرى لك اذا كنت متوخياً للعدل , موثراً للانصاف أن اتقسم شعره فتجعله في الصدر الاول تابعا لابي تمام وفي م بعده واسطه بينه وبين مسلم _ابن الوليد _ وعلمناك انه ليس بغيتآ الشهادة لأبي الطيب بالعصمة ,ولامرادنا ان نبراه من مفارقة زلة .وانا غايتنا أن نلحقه بأهل طبقته ولانقصر به عن رتبته , وأن نجعله رجلاً من فحول الشعراء).

وقال ابو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر :

(وتكلم الأفاضل الوساطه بينه وبين خصومه والأفصاح عن كبار كلامه وعونه وتفرقو تفرقآ في مدحه والصدح فيه , والنصح عنه والتعصب له وعليه وذلك اول دليل علي وفور فضله وتقدم قدمه وتفرده عن اهل زمانه بملك القواصي ورق المعاني , فالكامل من عدة سقطاطه , والسعيد من أحصيت هفواته.

وقال الشريف الرضي:

اما ابو تمام, فخطيب منبر , واما البحتري فواصف جؤذر وأما أبو الطيب فقائد ك عسكر . وأما أبو العلاء المعري فقد كان معجباً بأبي الطيب ولذلك شرح دايوانه , مرتين وسماه في احداهما (الامع العزبري) وفي الاخرى (معجز أحمد) وكان يتعصب للمتنبي ويزعم أنه اشعر المحدثين ويفضله علي بشار ومن بعده كأبي نواس وابي تمام.

وقال ابن شرف القيرواني في مقاماته :

وأما المتنبي فقد شغلت به الألسن وسهرت في اشعاره الاعين وكثر الناسخ لشعره والاخذ لزكره والفائض في بحره, والمفتش في قعره عن جمانه ودره , وقد طاله فيه الخلف وكثر عنه الكشف, وله شيعه تغلو في مدحه وعليه خوارج تتعايا في جرحه , والذي أقوله : غن له حسنات وسيئات , وحسناته اكثر عدداً واقوى أمداً وغرائبه طائره , وامثاله سائره وعلمه فصيح , وميزه صحيح , ويروم ويقدر, ويدري مايورد ويصدر ...)

وقال ابن رشيق الغيرواني في عمدته :

(ليس في المولدين اشهر اسماء من الحسن ابي نواس سم حبيب , أبي تمام, البحتري . ويقال أنهما أخملا في زمانهما خمسمائه شاعر كلهم مجيد ...الخ ثم جاء المتنبي فملا الدنيا وشغل الناس)

وقال علي بن حمدان الواحدي :

إنه كان صاحب معان مخترعه بديعه , ولطائفه افكار لم يسبق إنه كان صاحب معان مخترعه بديعه , ولطائفه افكار لم يسبق إليها دقيق ,ولقد صدق من قال

مارأى الناس ثاني المتنبي أي ثان يرى لبكر الزمـــان

هوفي شعره نبي ولـــــكن ظهرت معجزاته في المعاني

آراء بعض المحدثين :

قال الدكتور عبدالوهاب عزام في (زكرى أبو الطيب بعد ألف عام)

(لامراء أن الرجل من كبار رجالنا, ولاريب انه اعظم شعرئنا علي هفواته وإن الشذوذ يدل علي قوة الحياة احياناً وعلي الثقه بالنفس ولاعتداد بالراي)

قال الاستاذ كمال الكيلاني :

(لقد استفاد المتنبي من تجاربه في الحياة ماجعل شعره كانه صوت القدر يملي علي الناس قوانين الحياة)

وقال الدكتور زكي المحاسن في كتابه المتنبي (المتنبي)

(لقد احتل أبو الطيب في أدب العرب مكانه رفيعه ارتقي غليها وتبجح فيها بقوة واقتدار متعاظماً مرغوباً فيه يتيح لغيره من الشعراء العربيه , وليس لحظ دخل في ذلك , فأن حساب الحظ يسقط في القيم الادبيه الخالده وكفي براي الجرجاني , قاضي الراي , بل قاضي الادب , أن تنازل الشاعر بما هو أهل في كتابه (الوساطه) .

وقال الاستاذ شفيق جبرى فى كتابه (مالى المتنبى فظهرت أثار العظمة على سعره)

وقال الدكتور صالح الا شت فى مقاله (القاء بين الجاحظ والمتنبى)

واما المتنبى قدو على على الفلسفه اليونانيه واثرما كبير فى حكمته وقدرة بعض المولفين اصول الحكمه فى شعر المتنبى إلى كمان مشهوره الى ارسطو

وقال الدكتور شوقى ضيف :

(قد تركزت فى نفس المتنبى خصائص العرب حتى لكل نما نفسه قطعه من جميع انفسهم)[20]

[20]أبو الطيب المتنبي - يوسف فران –دار الكتب العلمية – ص 133-137.

وتناول اخرون جوانب متفرقه من شعره وناقشوا ايضأ اراء الذين بقولهم أدعا صدوهم من شرح ديوان ويأتى فى مقدمتهم :محمد بن وكيع :المتوفى سنة 393ه الذى زامل ابا الطيب فى بلاط سيف الدوله وضع فى بحثه فى شعر المتنبى .

تعدت طائفه كبيره فصحان الادباء واللغوين وعلماء البلاغة والشعراء المشرفين منذ النصف الأول من اتلقرن الرابع الهجري حيث عاش المتنبي وإلى زماننا هذا ,دراسة شعر المتنبي وماله من محسنات وما عليه من مأخذ واسقاطات .

وتحدث بعضهم عن جوانب متعددة من علاقات أبي الطيب والأمراء وزووا الوجاهة الذين عاصروه وتناول البعض الأخر شعر المتنبي بالشرح والتعليل والموازنة كما فعل أبو الفتح عثمان بن جني وسعد بن محمد الأسد .[21]

ويقول أبو الفتح ديباجة شرحه ديوان المتنبي وإن صنع شعر أبي الطيب المتنبي وغرة معانيه وإيضاح عويص إعرابه وإقامة الشواهد على غريبه .

أما الواحدي فقد أخذ على ابن جني وعلى الأخرين الذين تصدوا لتفسير شعر المتنبي وإخفاقهم في فهم معانيه الخفية .

أما المازجي :فذكر في الصفحة الأخيرة من شرح الديوان فضلا في الكلام على شعر المتنبي وبيان منزلته في أندية الشعر وماحكمة النقد ,والتشبيه على ماله في ذلك وما إليه وهو لا شك منزل بعيد الشقة متشعب الأطراف وقد أفاض في ذلك شراح الديوان والمتكلمون عليه .

وقال أبو علي الحاتمي : كان أبو الطيب المتنبي ورواده في مدينة السلام إلتحق وراء الكبر وزوال زيول أليته صعر خده وناء بجانبيه .

وأما عبد الرحمن البرقوقي :فإن شرحه لديوان المتنبي على أهمية ترويده موجز لاراء الذين سبقوه وهو شرح يصلح للمبتدين بدراسة شعر أبي الطيب وذلك مايتصل بأراء كبار بعض الباحثين الذين شرحوا ديوان المتنبي .

لقد أحسن بعض أدبائنا وأصاب حيث نقل رأي الواحدي وأردفه بقوله :إن المعاني الشعرية ليست من قبيل الأسرار والصوفية أو القضايا التعليمية التي تقتضي دقة نظر وجهود ,وإنما هي معاني طيبة تتركها المداهة بأدنى رمز .

[21]المتنبي بين ناقديه – محمد عبد الرحمن شعيب –ص 270

ولهذا كله عددنا الأمثلة القامرة الكفيلة بالرأي السديد التي تشهد بوضع بيان بغموض معاني المتنبي وتعقيدها وحرمانها العاطفة وفقدها من الحيال والوفية وما إلى ذلك من باقي العيوب.[22]

الفصل الثالث

القيم التربوية في شعر المتنبي نوذجاً (كافور الإخشيدي)

المبحث الأول:

كافور الإخشيدي:

هو أبو المسك كافور الإخشيدي ,لقبه الليثي السوري ,وهو أحد حكام الدولة الإخشيدية ,كان أسود اللون ؛ولكنه لم يختر لونه يوم ولد ,وصحيح أنه كان عبداً؛ولكنه ليس مسؤولاً عن خطفه صغيراً وحرمانه من أمه وأبيه وبيعه في سوق النخاسة ,وصحيح أنه كان خصياً وهو غير مسؤول عن ذلك أيضاً؛ولكن المسؤول هو المجرم الذي خطفه واسترقه وخصاه ,وباعه بدراهم معدودات .

[22]المتنبي بين ناقديه –محمد عبد الرحمن شعيب –ص 271.

لقد عابه الشاعر الكبير بلونه الأسود وبكونه كان مخصياً ,وأنه عبد مشترى بمال قليل ,فهل كان ذلك أمراً لائقاً من شاعر العربية الكبير ؟ أيليق أن يعاب إنسان بأمور أو عيوب لم يكن له فيها اختيار؟

وإن كافور كان من خير الرجال الذين حكموا مصر في تاريخها الطويل ,كان سياسياً بارعاً ,وقائد مظفراً ,مخارسا في الحرب شجاعاً يحسن صناعة الحكم ويهيئ الخير والرخاء للناس ,وكان متعلماً مثقفاً ذكيًا فطناً كريماً,محسناً صاحب دين وورع وتواضع . لقد اشترى محمد بن طفج الإخشيد كافور ورباه, ووأعتقه ورقاه حتى جعله من كبار القواد لمل رأى فيه من الحزم والعقل وحسن التدبير ,وتشير الوقائع التاريخية إلى أنه لولا كافور لانتهت الدولة الإخشيدية بمجرد موت الإخشيد الكبير ذلك أن كافور هو الذي أقام أبناء الإخشيد بعد وفاة أبيهم واحداً واحداً , اقام أبا القاسم أنوجور ولي أمر مصر أربعة عشر عاماً بعد وفاة أبيه من سنة 335-349ه ,فلما توفى أنوجور ولى كافور مكان أخاه أبا الحسن علياً الذي توفي سنة 355ه, وكان كافور هو الذي يدير ملكهما ويقود جيوشهما ويخوض المعارك نيابة عنهما مثلما كان يفعل أيام أبيهما , واستقل كافور بالأمر بعد ذلك وخطب له على المنابر وكان يقلب صاحب مصر والشام والثغور .

إن ابن زولاق يحصي سنوات حكم كافور ويقدر أنها إحدى وعشرين سنة وشهرين وعشرين يوماً منها سنتان وأربعة أشهر وسبعة أيام ملكاً مستقلاً , وليس يكفي كافوراً لكي يكون ملكاً عظيماً أن يحكم هذه السنوات العشرين ونيفاً ,ولكن عظمة الحكام تقاس بما هيأوه لبلادهم من استقلال واستقرار وأمن ورخاء .

والحق أن كافور لم يكن بعيداً عن ذلك كله ,فمن ناحية الاسقلال والاستقرار ,كان ملكه من الاتساع على النحو الذي ذكرنا :مصر والشام والثغور ,والحجاز ,وكان من الدهاء السياسي بحيث استطاع أن يهادن دولتين كبيرتين قويتين عن يمينه وشماله ,هما الدولة العباسية في العراق ,والدولة الفاطمية الفتية في افريقيا فقد كان يهادي المعز صاحب المغرب , ويذعن بالطاعة لبني العباس ,ويداري هؤلاء ويخدع هؤلاء ,وتلك قمة الذكاء السياسي . ولقد عزم الفاطميون على غزو مصر منذ وقت مبكر ولكنهم كانوا كلما هموا بذلك ,تذكروا أن كافوراً هناك ,وكانوا يلقبونه بالجر الأسود ويقولون : لن نستطيع فتح مصر قبل زوال الحجر الأسود . لقد جمع كافور إذن بين دهاء الساسة وفروسية القواد ,فكما أنه كان يشكل بشخصه سداً في وجه الفاطميين ,فقد كان أيضاً نداً في الحرب للملك العربي الفارس سيف الدولة بن حمدان ,يقول صاحب مرأة الزمان . كان كافور شجاعاً مقدماً جواداً يفضل على الفحول , جهزه الإخشيد في جيش لحرب سيف الدولة ومن المعروف تاريخياً أن كافور حقق نصراً على سيف

الدولة قرب حمص ,ولكن استبسال الأمير الحمداني وثباته وامتناعه عن التقهقر جعل الإخشيد الأكبر ينهي الحرب بالصلح والإصهار بين الأخاشدة والحمدانيين ,ثم حاول سيف الدولة بعد ذلك بعدة سنين الاستيلاء على دمشق فصده كافور عنها .

وإذا كان الغرض الأسمى من الحكم هو إسعاد الناس وتوفير الرخاء لهم ,فقد فعل كافور ذلك مع شعب مصر , لقد استغنى الناس في أيامه حسب رواية القلقشيدي , ولم يجد أرباب الأموال من يقبل الذكاة منهم ,فرفعوا أمر ذلك إليه –أي إلى كافور – فأمرهم أن يبتنوا بها المساجد ,ويتخذوا لها الأوقاف ففعلوا .

وكان كافور إلى جانب ذلك عظيم الحرمة وله حجاب ويمتنع عن الأمراء في الوقت الذي يجلس فيه بنفسه غدوة وعشية لقضاء حوائج الناس .
كان كافور من بنأة الدولة وصناع الملك , وقد أسلفنا القول أنه لولا وجوده كرأس من رؤوس دولة الأخاشدة لانهار بناؤها بعد موت الإخشيد , فقد كانت عين الفاطميين عليها يريدون أن ينقضوا عليها لو لا خشية هزيمة جيوشهم أمام الجيش المصري بقيادة كافور وكانت دولة بني العباس تريد استرداد مصر التي استقل بها الإخشيد وتصنع بها ,ماسبق أن صنعته بدولة الطولنيين حين دمرتها تمديراً زالت كل أثر لهم في مصر من بيوت وقصور ومنشأت حتى أخبارهم أسقطوها وأشعارهم أحرقوها ولولا حرمة بيوت الله لكانوا هدموا جامع أحمد بن طولون الذي لا يزال شامخاً في موقعه من أرض العاصمة المصرية حتى الآن .

كان كافور على الرغم من قوة جيشه واستتباب حكمه يداري خصومه ويؤلف قلوب أعدائه ,وقصة استعلاء بداري خصومه ويولف قلوب اعداه, وقصة استعلاء فاتك المجنون عليه معروفة, وكان يسطيع أن يدمره في سهوله ويسر , ولكنه بدلآمن ذلك كان يكثر من استرضائه بالمال ويحاول استصلاحه ويكرمه ويراعيه مراعاة كريمة ولما طلب أن يعيش في إقطاعه في القيوم أذن له بذلك , وودعه بنفسه .

وكانت دوله كافور غنيه بالرجال حافلة بالوزراء , عزيزه بالقواد , فوزراؤه كثيرون فقد عرفو بالعلم والكياسه والكفاءة , وكان علي راسهم الوزير العالم المحدث الأديب أبو الفضل جعفر بن محمد بن موسي بن الفرات الذي كان يعرف بابن حنزابه , وكان وزيرآ لانو جوز بن الأخشيدثم لاخيه أبي الحسن علي ثم كافور . وآل القرن الفرات بيت علي ووزارة في كل من العراق ومصر , فقد كان محمد بن موسي بن الفرات والد أبي الفضل , وزيرآ للخليفه العباسي المقتدر , كما أن ولدين لجعفر هما ابو الحسين وأبوالعباس الفضل وقد وليا الوزارة للحاكم بامر الله الفاطمي ولكنه قتل اولهما سنة 399 وقتل الثاني سنة 405 وكان الحاكم حسبما هو معروف

كثير القتل لرجاله ووزرائه وكان جعفر بن الفرات الوزير الاول لكافور عالماً حافظاً محدثاً , وكان قد نشأ نفسه مثل م ميخرج رجال الحديث انفسهم من تلق عن الرجال ورحل في جمع الحديث, وكان بلمي الحديث في جامع عمرو وهو وزير,وتروي عنه احاديث غير قليله , ورى عنه الدار قطنني في كتاب المريح وغيره أحاديث كثيره كما روای عنه الحافظ عبد الغني بن سعيد وقد وفد ابو الحسن الدار قطني إلي مصر تلبية لدعوه منه وصنف معاً مسنداً في الحديث

وكما عني الوزير أبن الفرات برواية حديث الرسول صلي الله عليه وسلم وقد اهتم كذلك بتأليف الرجال والانساب وكان الوزير ابن الفرات وبن حنزابه وهو لقب اشتهر به شعراوه وكتابه االذين منهم الناشي الاصغر أحد اساتذة المتنبي , ومنهم علي ابن الحسين الامدي النحوي وكان منقطعاً اليه , ومنهم أبو القاسم عبدالقفار المصري ومنهم الحسن بن جابر الرياحي وكان كاتبه الخاص , ومن كتابه ايضاً وجلسائه أبو النصر أحمد بن العلاء الشيرازي, ومن ابرز شعرائه ابو نصر أبي الفتح كشاجم, ومن طرائف أبي النصر في مداعبة الوزير أن ارسل اليه وكان قد خرج الي بستانه في المقس تفاحه كتب عليها بما الذهب

إذا الوزير تجلي للنيل في الاوقات

فـــــقد اتاه سميا ه جعفر بن الفرات

وكان الوزير نفسه يقول شعراً جميلاً ولكنه كان مقلا الدوله واسهامه في العلم والسياسه لم يكن يوفران له الوقت الذي يقول فيه مزيداً من الشعر ولكن شعره علي قلته كان موسوماً بلعمق موشحاً بالحكمه , ومن ذلك قوله:

من أخما النفس أحياها وروحها ولم يبت طاوياً منها علي ضجر

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها فليس تقصف إلا عالي الشـــجر

هذا الوزير الجليل كان بدوره ثمرة رجاها المتنبي فمدحه ثم صار رمية له فصرف عنه المديحه وطواها وهجاه وعبر بعلمه بوجلوسه لتدريس علم الرجال والانساب

لقد توفرت لكافور أمجاد سياسيه تمثلت فى استئاب لأمن وذيوع العدل وشيوخ الرخاء ’كما تجمعت له امجاد حربيه تمثلت فى الوقائع العسكريه التى خاضها ولم يعرف انه انهذم فى واحده منها ’ وكان القوات الذين يواجهونه من الشجاعه والفروسيه والتمرس فى فنون القتال بمكان ’ ويكفى هنا ذكر اسم سبق الدوله الهمدانى أو زكر شبيب العقلى أحد قوادت الخارجين عيها ’ولفروسيه كافور وشجاعته كان الفاطميون يفتخرون بالاحتفاظ بنسخه من خذائنهم

هذا بعض ماكان من امر كافور رجل الدوله ورجل السيف ’ولكن هل كان لكافور حاكما وحسب ’الحق انه كان يجمع الى كياسته فى الحكم ’نباهه العقل .

فطنة الفهم وحب العلم والعلماء وتشجيع الأدب والأدباء من كتاب وشعراء وصلة الصالحين والزهاد وكانت له ندوة دائمة تنظم حلقتها في الأمسيات وكانت تقرأ عنده كل ليلة مختلف السي وأخبار الدولة الموية والدولة العباسية [23] .

وكان كافور ذا ثقافة عربية واسعة ومن ثم كان يلقب بالأستاذ ، وهو اللقب الذي لا تعناه بديلاً للقب الأمير الذى ترفع عنه، وتجمع الروايات علي أن الأستاذ كافوراً كان له نظر في العربية والأدب والعلم ، ولقد.

مربنا خبر المتنبيء حين أنشده :

ولما صار ردُ الناس إقتراحاً وتعلق المتنبيء علي ذلك قائلاً: فعجبت من خطيئته وذكاته لقد كان كافور يفهم المرامي البعيدة لبيت شعر موجه أو المقصد غئض في ضمير محدثه [24]

وفي مجال القرآن الكريم وعلوم الدين كان كافور صاحب معرفة وبصيرة و هناك خير لطيف رواه السيوطى عن كافور وابي بكر محمد بن سهل الرملي النابلسي الزاهد العابد الصالح الذي قتله المعز الفاطمي سنة 363هـ حين بلغه قوله: لو كان معي عشرة أسهم رميت الروم بسهم بين عيد بشعة [25].

أرسل كافور الي ابي بكر بمال فرده وكان كافور كثير الانفاق علي الصالحين وقال: قال الله تعالي: (إياك نعبد وإياك نستعين) فالإستعانة بالله تكفي ، فرد كافور المال اليه وقال للرسول الذي حمل المال قل له قال الله تعالي (له ما في السموات وما في الأرض وما تحت الثري) فأين ذكر كافور هناء؟ فقال **أبو ابكر** : صدق الملك والمال لله وكافور صوفي لا أنا ، وقبل المال[26].

وكان كافور يتعهد فقهاء المسلمين وفي عهده أرسل عبد الرحمن الناصر من الأندلس عشرة الآف دينار لفقهاء المالكية في مصر ، فأمر كافور بعشرين الفاً مثلها ولأصحاب أبي حنيفة ثلاثة فقط[27] .

---

[23]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ،ص362-363
[24]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ،ص362-363
[25]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ،ص362-363
[26]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في مصرو العراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ، ص363
[27]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ،ص363

كمعلم يعرف قدر العلم وقيمة العلماء كان مافور يجل العلماء ويكبرهم ويصلحهم ويقض الطرف عمن يناله منهم سوي والأخبار في ذلك من الكثيرة بمكان ولقد كان سيبوية المصري شديد النقد له كثير الحملة عليه وكان جديد اللسان فيما عرض له كافور بكلمة بسوء كما أن له خيراً مشهوراً يعتبره مثالاً لتسامح ، والتقوي مع واعظ هاجمه علي المنبر[28]

وقديماً قالوا إذا أردت أن تعرف حقيقة الإنسان فأسأل عن جلساته ، فمن هؤلاء الذين كان يجالسهم كافور، بالاحرى ما هي نوعية الرجال الذي كان يضمهم مجلس هذا الرجل الذي أسيء اليه علي نحو لم يحدث لحاكم قبله[29]

كان مجلسه يضم صفوة الوزراء وجلة العلماء وكبار الكتاب والشعراء وعظماء اللغويين ومشاهير المؤرخين ، فكاتبه الأول هو إبراهيم بن عبد الله النجرامى أبلغ من امسك قلماً وكتب الرسائل الديوانية علي زمانه ، وكانت مصر تباهي به علي الأمصار المع شعرائه المغربين المقربين محمد بن عاصم المشهود بصناجه الروح [30] ، جامع أحمد بن طولون الذى لا يزال شامخاً فى موقعه من أرض العاصمة المصرية حتي الآن [31].

كان كافور علي الرغي من قوة جيشه داستاب حكمة بداري خصوص ويوؤلف قلوب أعدائه وقصته إستعلاء خائل المجنون عليه معروفة ، وكا ن يكثر من إسترضاء بالمال ويحاول إستصلاحه ويكرمه ويراعيه مراعاة كريمة ولما طلب أن يعيش في أقطاعه في الغيوم أذن له بذلك وودعه بنفسه[32]

وكانت دولة كافور غنية بالرجال حافلة بالوزراء عزيزة بالقوة فوزرائه كثيرون وقد عرف بالعلم والكياسة أبو الفضل جعفر بن محمد بن موسي بن الفرات الذي كان يعرف ابن حنزابه ، وكان وزيراً لأنوجور بن الأخشيد ثم لأخيه ابي الحسن علي ثم لكافور[33]

وآل الفرات بيت علم ووزارته في كل من العراق ومصر فقد كان محمد بن موسي بن الفراق ولد ابي الفضل وزواً للخليفة العباسي المقتد كما أن ولدين لجعفر هما أبو الحسين وأبو العباس الفضل قد وليا الوزارة للحاكم بأمر الله الفاطمي ولكنه قتل أولهما سنة 399 هـ وقتل الثاني سنة 405هـ وكان الحاكم حسبما هو معروف كثير القتل لرجاله ووزرائه[34] .

---

[28]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ،ص363
[29]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ،ص363
[30]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في مصر العراقيين الدكتورمصطفي الشكعه ، ص359
[31]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في مصر العراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ، ص359
[32]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في مصر العراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ، ص359
[33]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في مصر العراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ، ص359
[34]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في مصر العراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ، ص359

وكان جعفر بن الفرات الوزير الأول لكافور عالماً حافظاً ومحدثاً وكان قد نشأ نفسه مثلما يخرج رجال الحديث أنفسهم من تلقُ عن الرجال ورحلة فى جمع الحديث مكان يملي الحديث فى جامع عمرو وهو وزير وتروي عنه أحاديث غير قليلة روي عنه الدارقطني في كتاب المديح وغيره أحاديث كثيرة كما روي عنه الحافظ عبد الغتي بن سعيد وقد وفد ابو الحسن الدارقطني الي مصر تلبية لدعوة منه وصنفا معاً مسنداً في الحديث[35]

وكما عنى الوزير ابن الفرات براوية حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد اهتم كذلك بالتأليف في أسماء الرجالة والأنساب .

وكان للوزير بن الفرات ، وابن حنزابه وهو لقب أشتهر به شعراءه وكتابة الذين منهم الناشيء الأصغر أحد أساتذة المتنبي ومنهم علي بن الحسين الأمدي النحوي وكان منقطعاً اليه. ومنهم أبو القاسم عبد الغفار المصري ومنهم الحسن بن جابر الرياحي وكا كاتبه الخاص ، ومن كتابه أيضاً وجلسائه ابو النصر أحمد بن العلاء الشيرازي ، ومن أبرز شعرائه أبو النصر ، أبو الفتح كشاجم ومن طرائف ابو النصر في مداعبه الوزير أن أرسل اليه وكان قد خرج الي بستلنه في المقس تفاحة كتب عليها بماء الذهب[36].

أذا الوزير تجلي للنيل في الأوقان

فقد أتاه سمياً ه جعفر بن الفرات

وكان الوزير نفسه يقول شعراً جميلاً ولكنه كان مقلاً الدولة وإسهامه في العلم والسياسة لم يكون يوفران له الوقت الذي يقول فيه مزيداً من الشعر ولكن شعره علي قلته كان موسوماً بالعمق موتسماً بالحكمة فمن ذلك قوله[37]

من أخمل النفس أحياها وروحها ولم يبت طاوياً منها علي ضجر

أن الرياح إذا أشتدت عواصفها فليس تعصف الا عالي الشجر

هذا الوزير الجليل كان بدوره ثمرة رجاها المتنبي فمرحه ثم صار دميُة له فصرف عنه المديحه وطواها وهجاه وعيره بعلمه وجلوسه لتدريس علم الرجال والأنساب38، وهو صاحب الأبيات المشهورة التي أنشدها في حضرة كافور حسن لكثره الزلازل في مصر آنذاك وأبو القاسم بن

[35]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في مصر العراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ، ص359

[36]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في مصر العراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ، ص359

[37]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في مصر العراقيين الدكتور مصطفي الشكعه ، ص360

[38]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في معهد العراقيين الدكتور ، ص360

ابي العفير الأنصاري الذي أشتجر مع المتنبي في نزاع لغوي حيث كان ينشد كافوراً قصيدة مطلعها ، نظر المحب الي المحب غرام علي النحو الذي مر بنا فيما مضي من صفحات[39]

وكان مجلس كافور يضم عدداً كبيراً من أشهر مؤرخي مصر الإسلامية وقد عددت مؤلفاتهم في الفصل الخاص ببيئة مصر العلمية والثقافية وهم أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الكندي المتوفي سنة 347هـ ومؤرخ مصر الكبير لأبو عمر محمد بن يوسف الكندي المتوفى سنة 350 هـ[40]

وكان تدين كافور يدخل في نطاق علاقته بالحكم وعلاقته بربه فاما من ناحية الحكم فكان يباشر تطبيق العدل بنفسه ويجلس بشكل دائم في الغداة و العشي لقضاء حوائج الناس وأما من ناحية علاقتهبربه فقد أثر عنه أنه كان يتهجد ليلاً ويمرغوجهه ساجداً لله ويضرعاليه قائلاً : اللهم لا تسلط علي مخلوقاً وقد كان كافور لفرط صلاحه وخشيته لربه يسأل الصالحين عن مواطن إستجابة الدعاء وقد أورد القلقشندي خبراً مؤداه أن كافور يسأل الإمام الفقيه أبابكر بن الحداد مؤلف الباهر والفروع في فقه الشافعية ، والفرائض وأدب القاضي عن موضع يستجاب فيه الدعاء فأشار عليه بالدعاء علي سطح سجن يوسف بمدينة بوصير القربية من البدرشين[41]

هذا ما كان من صلاح كافور وخشية لربه واستمساكه بدينه فأما كرمه وصدقاته فكانت مضرب الأمثال وكانت حديث الناس علي زمانه فقد أثر عنه أنه كان يحب العلماء والفقهاء ويكرمهم ويتعدهم بالنفقات ويكثر من الصدقات حتي استغني الناس في42 أيامه ولم يجد الأغنياء من يقبل منهم الزكاة

المبحث الثاني :

المتنبي يهجو ويمدح كافور الأخشيدي :

سيول من السب والهجاء:

لقد بزل المتنبي كل ما يستطيع من رجاء في الحصول علي الولاية والحفي ذلك إلحاحاً يخرج به عن عقد أصحاب المروءات ومصاف الكرام ، ولكن كافور لم يستجب اليه ولم يهبه ما أراد فما كان من المتنبي الا أن أعد عدته لترك مصر وأقام الدنيا علي كافور هجا وسباً وقدحاً وشتماً بل أن المتنبي لم يقف به الأمر عند سب كافور وهجائه وإنما اكتسح في طريقه مصر التي يحكمها كافور، والمصريين الذين رضو به حكماً وقبلوه أمير أستغفر الله ، بل أستاذا لأن

[39]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في معهد العراقيين الدكتور ، ص364-365
[40]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في معهد العراقيين الدكتور ، ص364-365
[41]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في معهد العراقيين الدكتور ، ص364-365
[42]إسم المرجع ، أبو الطيب المتنبيء في معهد العراقيين الدكتور ، ص364-365

الرجل رفض أن يحمل لقب الإمارة حياءً وتواضعاً في زمن أغتصب كثيرون ممن هم أقل منه قدراً وأدني منزلة ألقاب الملوك[43]

لقد اشتط المتنبيء في هجاء كافور شططاً مبيناً لقد الفتا من الشعراء أن يواجهوا الهجاء لم ن يكرهون من الناس أما المتنبي فقد ذهب به الأمر الي المدي الذي جعله يستبيح دم كافور ويحض الناس علي قتل الرجل الذي أمن حياتهم وانعش أحوالهم ، وحسن زمانهم و نشر العدل والرخاء بينهم ويعتمد الشاعر الكبير في تأليب الناس علي كافور وحضهم علي قتله التدرع بقيمة دينية ، وهنا يتجاوز الشاعر ذاته ويقفذ فوق ضمير عقيدته ذلك أن المتنبي لم يعرف بالتدين ، بل إن هناك من نسبوه الي دقة الدين بسبب أبيات قالها وحتي أورد أصحاب التراجم أهم من المتنبي ولنقائصه ذكروا أنه ما ذني ولا لاط ولا شرب الخمر وأنه ما صلي ولا صام ولا قرأ القرآن أي أنه في الشق الثاني من صفاته غير عابي بالدين لم يكن الإسلام بشكل شيئا في حياة الشاعر ولكنه في عمرة غيظه من كافور وحفيظته عليه يدعوا الي قتله لأن في وجوده حياً ما يدعوا الناس الي الشك في الله وأن بقاءه [44].

علي ظهر الدنيا حجة للمارقين من دهريين ومعطلين علي المؤمنين :

لا فتي يورد الهندي هامته كيما تزول شكوك الناس والتهم

فإنه حجة يؤذي القلوب بها من دينه الدهر والتعطيل والقد م

وفي اندفاعه الشديد وكراهيته المتفجرة يتجه الشاعر الي المسلمين بعامه والي أهل مصر خاصة فيخضعهم برشاش كثيف مما امطره علي رأس كافور من هجاء وسباب فجعل ملوك المسلمين عبيداً وعايرهم بذلك بين أمم الأرض وهذا تجاوز آخر من الشاعر الكبير وتعريض بالدين الذي تزرع به لقتل فور لأن الإسلام حرر العبد بل حرم الإستعباد المعنوي[45]

كانت حملة المتنبي علي كافور والأرض التي يعش عليها شديدة عنيدة تعدي القول فيها حدود (الشعر الجيد الي مجال الشتم الكريه والسب البذي لا يجمل أن يصدر عن علم كبير من أعلام الأمة العربية كالمتنبيء ، والسبب في ذلك كله ولاية طلبها ، فامتنع كافور عن الإستجابة اليه فكانت هذه القذائف جزاء له.

وتتوالي تجاوزات الشاعر الكبير في حق كافور وحق مصر التي أكرمته ، وتتابع مغالطاته مع التاريخ ، فيخص الوالي الكيس النابغة بالعديد أهاجيه حتي، يكون يوم عرفة سنة (535) ويكون

[43] إسم أبو الطيب المتنبي في مصر والعراقين للدكتور مصطفي التكعه
[44]الدار المصرية اللبنانية ، 1421هـ ، ص363 ، 2001م
[45]أبو الطيب المتنبيء في معهد العراقيين الدكتور مصطفي الشلعه، ص364-365-366

الشاعر قد عد عدته للسفر من مصر وبالأحرى الهروب منها فربما مانع كافور سفره وعارض في رحيله حفاظاً علي عرضه الذي أبيح دون جريمة أرتكبها وقدره الذي أهين لغير ما خطيئة وقع فيها أن المتنبيء يعدٌ لمناسبة تركه مصر قصيدته الدالية التي أصبحت أشهر قصيدة في تاريخ الشعر العربي في مسيرته الطويلة[46]

الشاعر محلق في سماء من الحذق لا تطال وافق من الشعر رحيب الجنات وتالق في فن من القول صعب المنال لا الي مستواه الا من كان في مثل المتنبي قوة عارضة وخصب شاعريته والئك قليل عددهم بين الشعراء غير أن الشاعر لا يلبث أن يتحرف إنحرافا شديداص حين يهجو كافور وقوم مصر ولكن بأسلوب أشد عنفاً من ذلك مارسه في قصيدته فيصفهم بالمماطلة والكذب والبخل والخسية والنثيء[47]

وسخٌر كل طاقته لكي ينتقم لنفسه بسب أمل تصوره حقاً من حقوقه لقد فلح الشاعر علي ممدوحيه كل صفات المدح والمرؤة فلما لم يستجيبوا له انقلب عليهم فصارت محاسنهم قبائح ومزاياهم نقائض وكرمهم بخلاء وصدقهم كذباً الي آخر صورة هجاء يمكن أن تكون تصورت تصورت الشاعر قد وعتها وذلك في قول البارع صياغه المتهافتخلعاً .

أمسيت أروح مثر خازناً ويداً أنا الغني وموالي المواعيد

أني نزلت بكذابين ضيفهم عن القري وعن الترحال محدود

جود الرجال من الأيدي وجودهم من اللسان فلا كانوا ولا الجود

ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم الا وفي يده من نتنها عود

من كل رخو وكاء البطن منفتق لا في الرجال والنسوان معدود

وكعادة المتنبي في هجائياته السابقة لا يقصر أهل مصر وإنما من وجهة نظره مطيعون لحكامهم ولو كانوا من القتلة أو العبيد حرهم عبد وعبدهم حر وإمامهم خصى ، وهم من القفله بحيث شبع ناهبوا أموالهم ومفتصبو ثرواتهم حتي البشم[48]

والذي نعنيه هنا قول المتنبي في حق كافور وحق مصر:

أكلما أغتال عبد السوء سيده أو خانه فله في مصر تمجيد

[46]أبو الطيب المتنبيء في معهد العراقيين الدكتور ، ص368 – 369

[47]أبو الطيب المتنبيء في معهد العراقيين الدكتور ، ص368 – 369

[48]أبو الطيب المتنبيء في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشلعه، ص368-369

أن المتنبي هنا يجني علي التاريخ مرتين مرة في حق كافور ومرة في حق أهل مصر أما بالنسبة لكافور فما أغتال سيده[49] ولا فانه قلم تكن الخيانة من اخلاقه ولم يكن القتل من صفاته .

أما بالنسبة لمصر والمصريين فقد مجدوا كافوراً وكان واجبهم أن يفعلوا ليس لأنه قاتل أو خائن تاريخ الأمة العربية في مصر وغير مصر لم يحدث عن أن شعباً واحداً قد مجد حاكماً خائناً أو سامح رئيساً منحرفاً يشهد بذلك التاريخ قديمه ووسيطه وحديثه علي وجه سواء ، فلم يفلت فاسد من قبضته ولم ينج منحرف من حساب أما تمجيد المصريين لكافور فلأنه صنع لهم دولة آمنة قاعدتها العدل والإستقرار، وعمادها العلم والرخاء علي قول المتنبي في مصر وكافور

أكلما أغتال عبد السوء سيده أو خانه فله في مصر تمجيد

صار الخص إمام الابقين بها والحر مستعبد والعبد معبود

نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تفني العناقيد[50]

ويلتفت المتنبي نحو كافور ، ويعيره بعبوديته السابقة ، علماً بأن كافوراً لم يولد علي الرق وبصفة بما لا يحمل قوله من شاعر عظيم كالمتنبي لحاكم عظيم مثل كافور في البيتين الذين استفاضت شهرتهما علي السنة الرواة الجودة وصياغتها وحبكة صنعتها

العبد ليس الحر صالح بأخ لو أنه في ثياب الحر مولود

لا تشتر العبد الا والعصا معه إن العبيد الا نجاس مناكيد[51]

ويمضي أبو الطيب في هجائيته الشهيرة ضارباً عن كثير من القيم التي كان ينادي بها زمناً ، ذلك أنه يهجو الرجل لأمور شخصية محضة ولا تعنى الناس في شيئاً حتي لو كان الشاعر علي حق في موقفه منه وهنا الخطأ الكبير الذي وقع فيه المتنبي الذي ينبغي للدارسين أن يعوه ويفطنوا اليه فقد يكون من حق شاعر أن يهجو حاكماً علماً بسبب نقائص فيه ينسحب خطرها علي الناس ومصائب يضار منها المجتمع.

أما بالنسبة للمتنبي وكافور فالأمر جد مختلف إذ أن هلا فهماً لا يهم الناس ومجتمعهم في شيء ، ولذلك فإن المتنبي في هجائياته يستعمل ضمير المتكلم وهو يعب حقده وجام قضبه علي كافور ومن ثم فهو يؤكد أن القضية شخصية فردية ، فيقول في توتر شديد شمل الناس جميعاً ،

ما كنت أحسبني أحياء الي زمن يسيء بي فيه كلب وهو محمود

[49] أبو الطيب المتنبيء في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشلعه، ص368-369

[50] أبو الطيب المتنبيء في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشلعه، ص368-369

[51] أبو الطيب المتنبيء في مصر والعراقيين الدكتور مصطفي الشلعه ص،371

ولا توهمت أن الناس قد قعدوا وأن مثيل ابي البيضاء موجود

وأن ذا الأسود المثقوب مشفرة تطيعه ذي العضاديط الرعاديد

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود

ويسف المتنبي غاية الأسفاف ، وهو ما كنا نعيذه منه ويستعمل صيغاً من السباب ثم يسبق لشاعر أن يسلك طريقها أو انحدر الي نحورها خاصة وأنها موجهة الي حاكم عظيم مثل كافور لا يعيبه كون لون بشرته أسود ولا ينال من قدره أنه أختطف صغيراً فاسترق

من علم الأسود المقص مكرمه أقومة البيض أم أباؤه العيد ؟

أم أذنه في يد النفاس داميه أم قدره وهو بالفلسين مردود

أولي اللئام كوفير بمعذرة في كل لوم ويعص القدر تفنيد

وذاك أن الفحول البيض عاجزة عن الجميل فكيف الخصيه السود

المتنبي يمدح كافور الأخشدي:

حين وصل المتنبي الي مصر اختص به كافور إحتفاء عظيماً وخصص له داداً خميلة لسكناه ووصله بالأف الدراهم ولكن أبا الطيب كان علي حال من الكبر ولا والإستعلاء في علاقته بمضيفه الكبير فقد سبقه شرلحه الي كافور بألا ينشر شعره بين يديه الا في وسطه سيف ومنطقة وألا يركد الا ومن حوله حاجبات من مما ليكه وهما بالنسيوف والمناطق[52]

ربما كان هذا المسلك غير مألوف من ضيف شاعر محتاج مهما سمت منزلته وبعدت همته ولكن المتنبي لم يكن يري نفسه مجرد شاعر، وإنما كان يعتبر نفسه أحد عظماء الزمان يقرر ذلك في شعره ويطبق ذلك في سلوكه ما لقد فعل ذلك مع الأمير الحمداني الكبير سيف الدولة ولعلنا لا نزال نذكر رده علي أحد رجال حاشية الأمير حيث أنشد قصيدته التي مطلعها

لكل أمريء من أمره ما تعودا وعادة سيف الدولة الضرب في العدا

لقد اعترض الرجل علي المتنبي وهو ينشدقاعداً .

[52]أبو الطيب المتنبيء في مصر العراقيين الدكتور مصطفي الشلعه،الدارالمصرية اللبنانية ط1421،2هـ، 2001م ص،363

وقال: بصوت عال: لو انشدها و هو واقف لكان أفضل فقطع المتنبي إنشاده وقال علي الفور : أسكت يا رجل ، أما سمعت المصراع الأول ؟ وسوف نري أن المتنبي سوف يشترط شيئاً من ذلك حين يذهب الي الملك البويهي عض الدولة .

وصل المتنبي الي واستقبل علي النحو الذي ذكرنا من ترحيب به وتكريم شخصه ، ولكنه لم ينهض لمدح كافور ، ومضت الأيام والأ أسابيع وكافور يستعجل مدح الشاعر له، وكان كافور تواقاً الي ذلك وكالمطرب الحاذق الذي يتعجل المستمعون ظهوره وغناءه وهو يصطنع الأناه والدلال خرج المتنبي علي كافور بأولي مدائحه فيه في جمادي الآخرة سنة 346هـ مستهلاً أياها **بقوله[53] :**

كفي بك داء أن تري الموت شافي وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وهو استفتاح يتطير منه وهو علي بلاغه معناه وبعد مرماه وخدق صياغته مما لا تحسن أن يكون إستهلاً لقصيدة مديح ، وإنما يصلح للشكوي أو الرثاء أو ما شاكل ذلك.

إن كنا لا نعتقد أن الشاعر قد عمد الي ذلك عمداً فإن له سوابق مماثلة في إستهلال كثير من مدائحه في مراحل سابقة من مراحل حياته الفنية سوف نعرض لها في مكانها المناسب فيما يستقبل من حديث ويتمم المتنبي إظهار مشاعر اليأس في بثه الثاني

يقول : تمنيها لما تمنيت أن تري صديقاً فأيا أو عدواً حياً مداجيا

ثم لا يلبس الشاعر أن يتصيد لنفسه أسباب التمجيد وتعلات التصبر في مجموعة من الأبيات التريبة الصوغ الأنيقة المحتوي والمطرزة ببعض معاني الحكمة التي أصبح الشاعر لطول ما قاس من تجاريب الزمان واحداً من روادها إن لم يكن في مجال الفعل ففي مجال القول

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا

ولا تستطيلن الرمـــاح لغـــارة ولا تستجيدن العتاق المزاكي

فما ينفع الأسد الحياء من اللٌ وى ولا تُتقي حتي تكون ضواريا

حببتك قلبي قبل حبك من نأي وقد كان غداراً فكن أنت وافياً

نلاحظ هنا أن الشاعر بدأ يشير الي سيف الدولة من طرف خفي صحيح أنها إشارة غير كريمة لأنها إشارة الي القدر ، بيدا أنه يردف بالبيت النفيس:

[53]أبو الطيب المتنبيء في معهد العراقيين الدكتور مصطفي الشلعه، صص363

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذي فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقياً

ويتبع المتنبي ذلك لبيت آخر متمم للمعني الذي بدأه قبل ذلك بقليل وهو الحملة علي سيف الدولة

وللنفس أخلاق تدل علي الفتي أكان سخاءً ما أتي أم تساخيا

إن شبح سبف الدولة يكمن في أعماق الشاعر لا ينزاح عنه ولا يريم أنه يفرط هيبته ، وربما ذكراه عليه حتي وهو في مقام مديح ملك آخر ، فيناجي قلبه بغناء حزين ربما كان فريداً في نظامه وحيداً في نبرته حين يقول عن قلبه وعن خلقه :

أقل اشتياق أيها القلب ربما رأيتك تصفي الود من ليس جازيا

خلقت ألوفاً لو رحلت الي الصبا لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

بعد هذه المعايشة الشعرية الأخلاقية الطويلة للشاعر مع ممدوحه القديم بغض النظر عن كنهها وعما اذا كانت هجاء أو تعريضاً تقريعاً أو عتاباً شجواًو حنيناً أو كل أولئك جميعً يبدأ المتنبي يفطن الي أنه سبيل مدح ملك آخر ملك كبير وإن ظن بعض الناس غير ذلك لبلد كبير وكان عليه لياقة ولباقة أن يتنبه الي ذلك منذ البيت الأول لا البيت الثالث عشر ، ومع ذلك فهو يندمج علي كل حال في الإتجاه بشعره وإن لم يكن لقلبه الي كافور غزاً اليه المسير بالجرد الجياد الذي أشتهر بحزقه في وصفها وإن كان وصفه إياها هنا دو ن وصفه إياها هناك عند سيف الدولة بكثير:

ولكن بالفسطاطبحراً أزرته حياتي ونصحي والهوي والقوافيا

وجرداً مددنا بين آذانها القنا فبتنا خفافاً يتبعن العواليا

تماشي بأيد كلما وافق الصفا نقشن به صدر البزاة حوافيا

ثم لا يلبث الشاعر أن يجسم مديحه للتأخير حين يعود فيلتفت الي الوراء مرة ثانية الي سيف الدولة الساقية ويفضل عليه كافورا البحر خير من حملت الأرض لأنه إنسان عين الزمان الذي ما ظلت الأجيال تتناسل وما فتئت الناس تتوالد الا لكي تصل اليه وهو معني طريف فيقول :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها ومآقيا

نجوز عليها المحسنين الي الذي نري عندهم إحسانه والأياديا

فتي ما سرينا في ظهور جدودنا إلي عصره الإ نرجي التلاقيا

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضا خلفها ومآقيا

وهو أحسن ما يمدح به ملك أسود وأنه من أعلي طبقات البلاغة والإحسان كما أصدر حكما مماثلاً ونحن معهم في ذلك علي بيت آخر من القصيدة وهو قوله:

فتي ما سرينا في ظهور جدودنا الي عصره الاّ نرجي التلاقيا

علي أنه لا ينبغي لنا أن نمر علي تشبيه المتني كافوراً بالبحر وسيف الدولة بالساقية مروراً سريعاً دون تعليق فإن ذاكرة المتنبي تبدو ضعيفة هنا كل الضعف ذلك أنه سبق أن خلع نفس المعني علي سيف الدولة في أحدي مدائحه له ، بل كانت صيغته في سيف الدولة أرقٌ وأجمل منها في أحدى مدائحه له ، بل كانت صيغته في سيف الدولة أرقا وأجمل منها بالقياس الي صيغة في كافور أن المعني الذي نشير اليه هو قوله في سيف الدولة:

أري كل ذي ملك اليك مصيره كأنك بحر والملوك جداول

إذا مطر منهم ومنك سحابة فوابلهمطُ ل وطلُك وابــل

ومن الطبيعي أن تكون صياغة المتنبي لمدائحه في سيف الدولة أرق وأنعم منها في كافور بغض النظر عن كون المعني واحداً والقصدمكرراً وذلك لطبيعة الفرق بين علاقته بممدوحه العربه وممدوحه الحبشي الأصل.

ولكن المتنبي كثير التخيط بل في ممدوحيه لأنه يعرض بسيف الدولة لدي كافور، فإذا ما ترك كافوراً عرض به ومدح سيف الدولة ، وهكذا دواليك ، إنه يعود الي التعريض بسيف الدولة في مديحه تالية لكافور يقول فيها :

قالوا هجرت إليه الغيث ما قلت لهم الي غيوث يديه والشآبيب

إلـــــــــي الـــــــذي تهب الدولات راحتـــــــه ولا يمنُ علي آثار موهوب

فإذا ما ترك كافوراً وحل بالعراق وتلقى هدية [54]، من سيف الدولة انطلق الي معاودة مدحه والتعريض بكافور في قصيدة مطلعها:

أن تبوأت غير دنياي داراً وأتاني نيل فأنت المنيل

[54]أبو الطيب المتنبي من مصر والعراقيين مصطفي الشكعة ، ص367

من عبيدي إن عشت لي ألف كافور ولي من نداك ريح ونيل

وينتقل المتنبي الي مرحلة حاسمة من يائيته هذه التي تألق بفنه الرفيع في كثير من مواضعها حين ضمنها بعض روائعه وتخلي عنه التوفيق في البعض الآخر الذي بدت ظلال النفاق أوضح فيها من طبيعة الثناء ، أنه هنا يلقب كافوراً بأبي المسك لأنه أسود جبشى وقد أستحسن بعض النقاد هذا التلقيب في نطاق المديحه بل إن المتنبي لم يكتف بأن جعل من كافوراً أبا للمسك وحده بل أصابته نوبة حماس فجعلته يخلع علي ممدوحه الأسود اللقب (أبا كل طيب لا أبا المسك وحده).

ولقد فاتت فطنة المتنبي أن الإنسان لا يمدح لا بمحاسنه ولم يكن السواد مزية أبداً عند أسود حتي يمدح به، ولا العمي محمدة الضرير حتي يثني به عليه فإنه من اقصي الأشياء علي المرء أن يذكر بعيي فيه حتي ولو كان القائل من الحصافة واللباقة بحيث يقلب العيب الي مزيه والقبح الي حسن والبشاعة الي وسامة وإن كافوراً قد أمتعص بينه وبين نفسه دون شك حين لوح له المتنبي بصفة اللونمهما جعل منه مسكاً ومهما جعل منه أبًا لكل طيب .

هذا من ناحية ، ومن الناحية الأخري بدأ المتنبي منذ القصيدة الأولى وهذه الفقرات مرحلة منها يزيح النقاب عن أطماعه ، ويفصح عما يخالج[55] نفسه في الحصول علي ولاية في قوله[56] :

وغير كتير أن يزورك راجل فيرجع ملكا للعراقيين واليا

بل أنه ربما وهب جيشه الذي يغزو به إلي سائل أوعاف , وهي معان جعلتها المبالغة تفقد رونقها فبدت سمجة أكثر مما بدت بليغه , لأنه جعل ممدوحه يبدو كإنسان سفيه أحمق ينبغي أن يحجر ليه أكثر مماجعل منه جواداً كريماً .

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقا إليه وذا الوقت الذي كنت راجيا

لقيت المرورى والشناخيب دونه وجبت هجيرا يترك الماء صاديا

ويختم المتنبي يائيته , هذه التي حوت النفائس العديدة من فن القول بأبيات تنقصها لمحات الذوق حين عاد إلي الإشاره من جديد إلي سواد الممدوح وحبشيته في قوله :

إذا الهند سوت بين سيفي كريهة فسيفك في كف يزيل التساويا

ومن قول سام , لو رأك لمثله فدي ابن أخي نسلي ونفسي وماليا

[55]أبو الطيب المتنبي من مصر والعراقيين مصطفي الشكعة ، ص367

[56]أبو الطيب المتنبي من مصر والعراقيين مصطفي الشكعة ، ص400

ويعد انشاد الشاعر هذه القصيده الجليلة بين يدي كافور تتوالي مدائحه في سرعة واطراد لم تكن مألوفة عند المتنبي من قبل , ولكنه ربما كان يتعجل ارتقاء المنصب الذي يسعي إليه , وهو أن يوليه كافور علي صيدا أو علي إحدي بلاد صعيد مصر , وماكان كافور ليفعل ذلك , فإنه له رأيا في المتنبي غير كريم سبقت الإشارة إليه في فصل , فقد نسب الي كافور أنه قال المتنبي : وانت في حال من الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك إلي النبوة , فإن اصبت ولاية وصار لك أتباع فمن يطيقك[57] .

لا شك أن هذا القول كان قول كافور ورأيه غير أن الأمر الذي لا يكاد يكون مؤكد , هو مواجهته به , وإلا لما استمر المتنبي في مدائحه له .

إنه لا يكاد يمضي شهراً علي انشاد المتنبي كافوراً قصيدته حتي تكون دار جديدة جميلة قد تم بناؤها لسكنى كافور , فيسارع المتنبي إلي تهنئه بها ووصفها ومدحه في ثنايا المناسبة .

إن المتنبي يستهل قصيدته هذه المرة استهلالا ينم عن ذكاء وكبرياء فهو يجعل نفسه وكافوراً سواءً , الأمر الذي لا يتقبله الحكام الكبار في رضي ويسر , ومع ذلك فقد استهل قصيدته هذه الهمزيه قائلاً :

إنما التهنئات للأكفاء ولمن يدني من البعداء

إن المتنبي لا يكاد يأتي في قصيدته علي ذكر الدار الجديده , وإنما يتخذ منها مناسبه لمدح كافور بصيغ لم تخل من لباقة حين يجعله أجل من أن يهنأ بدار من الأجر , وإنما ينبغي أن يهنأ بمفاخره الكثيرة العديدة التي يبرع الشاعر في وصفها غير أنه علي عادته يرحم لون الممدوح حين يجعل السودا واحداً من مفاخره , مع علم الشاعر والممدوح علي حد سواء أن كلا منهما يكذب علي الآخر الأول يكذب في تصوره والثاني يكذب في إظهارة تصديقه إياه , إن الشاعر يخاطب كافوراً بقوله :

أنت أعلي محله أن تهنأ بمكان في الأرض أو في السماء

ولك الناس والبلاد ومايس رح بين الغبراء والخضراء

ويمضي المتنبي في ذكر الدار الجديدة , وساكنها ذي المكرمات والالآء , الذي هو " كالشمس السوداء" والذي هو أسود الجلد أبيض النفس , والذي يعجز الملوك البيض عن أن تبدل لونها

[57]أبو الطيب المتنبي من مصر والعراقيين مصطفي الشكعة ، ص405

حتي تصير كالأستاذ وهو لقب كافور سواداً لأمر الذي يغضب منه كافور في قرارة نفسه من حيث أراد الشاعر أن يرضيه ويمدحه إن هذه المعاني تتمثل في هذا القول :

نزلت إذ نزلتها الدار في احس ن منها من السنا والسناء

حل في منبت الرياحين منها منبت المكرمات والألآء

إن أبا الطيب لا تهدأ له نفس ولا سكن له بال وإن نوبة من النشاط الشعري تعتريه فيقول اكثر من قصيدة بعد الميمية التي مر ذكرها , وتمر شهور خمسه أخري ويحل عيد الفطر من السنه نفسها التي هي 347 ه ويبعث كافور الي المتنبي مبلغ ستمائة دينار علي سبيل الهدية, فضلاً عن الضيافة الكامله , فيتميز الشاعر المناسبة وينشئ القصيده البائيه المشهورة [58]:

أغالب فيك لاالشوق والشوق أغلب واعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

إن هذا الشعر من الجودة والإبداع بحيث جعل أبا القح بن جني يقف عنده مستحسنا استحساناً دفع به إلي أن يسأل المتنبي وهو يقراء عليه الديوان : يعز علي أن يكون هذا الشعر في ممدوح غير سيف الدولة ولكن المتنبي يجيبه في كلمات تنضح بالغرور مظهراً وتفيض بالندم جوهراً : حزرناه و أنذرناه فما نفع الحذر ألست القائل فيه:

أخا الجود أعط الناس ما أنت مالك ولا تعطين الناس ما انا قائل

فهو الذي اعطاني لكافور بسوء تدبيره وقله تميزه .[59]

ويشتد اليأس بالمتنبي من مطل كافور في منحه الولاية التي اراد , إنه لا يطلب شيئا مستحيلاً إن صيداً أو بلاد النوبه حتي أسوان تكفيه, ألم يكن دعبل الخزاعي والياً ذات يوم علي أسوان ؟ وأين دعبل منه ؟ كان ذلك تفكير المتنبي , ولذلك فقد استخار الله وكاشف كافور بما في نفسه مكاشفة صريحة واضحة لا لبس فيها ولا إبهام , ليست إشاره ولا تلميحاً وإنما تصريح وتوضيح ومن شاء فلفيضر القول على انه تعريض وتقريع وان المتنبئ يقول لكافور:

ابا المسك هل في الكأس فضل اناله فإن اغنى منذ حين تشرب

ولا يلبث المتنبي في هذا القول الا قليلا لكي يعود من جديد الى غنائية عذبة ، ومعاني انسانية صافية في يوم عيد ،حيث عقد الاحباء ملتئم شملهم والأهل مجتمع اشتاتهم ومن خلال العنائيه هذه يتضجر من ملكة الشاعر ذلك البيت الجميل :

[58]أبو الطيب المتنبي من مصر والعراقيين مصطفي الشكعة ، ص405

[59]أبو الطيب المتنبي من مصر والعراقيين مصطفي الشكعة ، ص407

وكل امري يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت الغر طيب

وهاهي المقطوعة الغنائية من القصيده تلك التي تشير إليها :

يضاحك في ذا العيد كل حبيبه حذائي وأبكي من أحب وأندب

المبحث الثالث:

نماذج من شعرة وتحليل شخصيه :

تصوير المديح:

لقد توسل الشاعر بالتصوير البياني في تصوير من مدحهم واتخذ من موجودات الطبيعة وغيرها أداة لشعره ومدحه , فالشمس , والقمر , والنجوم , والأفلاك , والبحار , والأنهار , وغيرها استوحي من مظاهرها فنه في هذا المجال ورأي فيها صورة لممدوحيه فتغني بها علي يقثارته , وردَّد ألحانها علي وتره يتحول في مدحه لعلُ ي بن منصور الحاجب[60]

هذا الذي ابصرت منه حاضرا مثل الذي ابصرت منه غائبا

[60]التصوير البياني في شعر المتنبي .د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم،233

كالبدر من حيث التفت رأيته يهدي الي عينيك نورا ثاقبا

كالبحر يقذف للقريب جواهرا جودا ويبعث للبعيد سحائبا

كالشمس في كبد السماء وضوءها يغشي البلاد مشارقا ومغاربا

وانت تري أن أداة التشبيه قد تكررت وتعددت لأن للشخصية التي يمدحها الشاعر جوانب متعدده[61]

ففي البيت الأول : يصف ممدوحه بالكرم والعطاء . وأن عطاءة وهو حاضر كعطائه وهو غائب والتشبيه يقوم بين تشبيه كرمه وهو حاضر بتشبيه كرمه وعطائه وهو غائب[62]

وفي البيت الثاني : وقد جعل السماء كبدا , ووصف ممدوحه بأنه كالبدرالمتألق فيه, وأن من ينظر إليه يري إشراقته ,ونفعه , يملأن الزمان والمكان.

وفي البيت الثالث : يصف ممدوحه بأنه كالبحر في التدفق , والعطاء وهو لا يخص به القريب دون البعيد , ولكنه يصل بعطائه الي القريب والبعيد فهو يقذف للقريب بالجواهر ويبعث بالسحائب فمن حضر إليه واخذ , ومن غاب أرسل إليه . والتشبيه يقوم من خلال تشبيه الممدوحه في وصول بره للحاضر , والغائب. بالبحر في وصول نفعه للقريب , والبعيد.

وفي البيت الثاني يؤكد وصفه بالعطاء والكرم , ويتوسل الي ذلك بالتشبيه وتشبيه الجود بالبحر في الكرم والعطاء تشبيه قريب .

وانظر الي وصف ممدوحه بالكرم والشجاعه وتوسله في ذلك بالتشبيه في قوله[63].

كأنك في الإعطاء للمال مبغض وفي كل حرب للمنيه عاشق

فهو يشبهه لكثرة جوده بالمبغض للمال للذي يتصرف فيه وكأنه شئ يكرهه , فلا يمسكه. في خزائنه ثم يشبهه في ملازمته للحرب , ومداومته عليها بالعاشق للموت لكثرة ما يخوض من معارك غير هياب ولا وجل . والعاشق للمنية فيه قمة العطاء والبذل عطاء المال , وعطاء النفس.[64] وانظر الي هذا التصوير الذي يزدان به جيد ممدوحه وذلك في قوله [65]

فلما رأني مقبلا هز نفسه إلي حسام كل صفح له حد

---

[61]التصوير البياني في شعر المتنبي .د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم،236

[62]التصوير البياني في شعر المتنبي .د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم،239

[63]التصوير البياني في شعر المتنبي .د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم249

[64]التصوير البياني في شعر المتنبي .د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم،253

[65]التصوير البياني في شعر المتنبي .د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم،259

فلم أرقبلي من مشي البحر نحوه ولا رجلا قامت تعانقه الأسد

كأن القسًى العاصيات تطيعه هوي او بها في غير اغلة زهد

والمتنبي يفخر بنفسه . وهو يتحدث عن ممدوحه وتلك سمه بارزه من سمات الشاعر يتفرد بها وقد افضت في الحديث عنها مواطن كثيره

فهو يستعير الحسام للمدوحه وهو حين رأه هز نفسه , واقبل عليه لما يمثله المتنبي من قيمه , ولما له من قدر وهو وحده الذي لم يسبق . بمشي الممدوح نحوه , ومعانقته إياه بعد أن استعار له البحر جودا والأسد جرأةً وشجاعة واستعارةً تصريحيه أصلية .

وفي البيت الثالث : يصف الممدوح بالقوه حين يشبه القسي الشديده التي تستعصي علي غيرة فلا يستطيع جذبها ولكن الممدوح لقوته ينزعها فلا تستعصي عليه بالمطيعة المستسلمه المنقادة حياله هو وزهدا في غيره ووجه الشبه هو الاستسلام التام والانقياد المطلق.

وتراه يشبه المددوح بالبحر في حالتين هما في قوله:

هو البحر غص فيه إذا كان راكدا علي الدر واحزره إذا كان مزبدا

فإني رأيت البحر يعثر بالفتي وهذا الذي يأتي الفتي متعمدا

فالشاعر يمدحه بأنه كالبحر . ولكن البحر ليس علي حال واحدة فتارة هائج غاضب, واخري هادئ راكد . وهو في حال الركود وديع مسالم مأمون وفي حال الثورة الوهاد والنجاد , ويصل القريب والبعيد , ولابد أن يكون الشاعر واحد ممن يصل إليهم ماء البحر , ونور الشمس وقل مثل ذلك في النجوم وغيرها إن هذه العناصر قد وظفها الرجل في صورة وهو يرفع مديحه الي ممدوحه لكي يبث رغباته من خلالها وإن كان لم يفصح عن ذلك صراحة وإنها ترك الصورة وهي تتفاعل من خلال السباق توصئ وترمز إلي ما يريد ويرغب .

تصوير الهجاء :

انشد المتنبي الشعر في فن الهجاء وله فيه القول المر , والكلام المزري الممض انظر إليه في هجاء ابن كردس :

فلو كنت أمرأ يهجي هجونا ولكن ضاق فترعن مسير

يصفه بأنه خسيس القدر , وضيع الأصل , ضعيف الشأن , خامل الذكر . يرتفع الهجاء عنه ويسمو عليه والتشبيه غير المباشر فيه واضح وهو من خلال تشبيه حاله في ضعف شأنه , وضاله حجمه , وحسه نفسه , وعدم إتساع قدرة لجولات الهجاء , وصولاته بحال الفتر في ضيق مساحته وفي كزانته وكونه اضيق وأقل من أن يتسع لمسير .

البيت كنايه عن غاية ما ينتهي إليه الأزدراء والاحتقار فهو ليس بشئ يؤته له ويحسب حسابه .

انظر الشاعر وهو يبين المظاهر الخارجية للمهجو في هجائه لكافور :

وتعجبني رجلاك في الفعل إنني رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيا

وأنك لا تدري ألونك أسود من الجهل أم قد صار أبيض صافيا

ويذكرني تخييط كعبك شقه ومشيك في ثوب من الزيت عاريا

ولولا فضول الناس جئتك مادحا بما كنت في سري به لك هاجيا

فأصبحت مسروراً بما أنا منشد وأن كان بالإنشاد هجوك غالبا

فإن كنت لا خيراً أفدت فإنني أفدت بلحظي مشفريك الملاهيا

ومثلك يؤتي من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحداد البواكيا

والصور كلها كنايه عن منتهي السخرية , والاحتقار واتخاذ المظاهر الشكليه واللونيه أداة للعب واللهو والتسرية إذ أنها تمثل تهكما بكافور وتسرية وترويحا عن غيره ممن يراة برجليه المنتعلتين الحافيتين وبلونه الأسود وببلاهته وغفلته , وبكعبه المشقق المخيط بمشيه في ثوب من الزيت بصفرته واتساعه وببلاهته , وعدم ذكائه حتي ليحسب الهجو مدحا , وهكذا استطاع أن يتقن الهجاء وأن يري المتلقي المهجو بمشافره الغليظه وكعبه المششق ورجليه المنتعلتين إذا كان حافيا لقد وضع مهجوه أمام النظارة والمشاهدين وهم يهتزون ويطربون من رؤيته وكيف لا يطربون ولا يضحكون ومثله يؤتي من بلاد بعيدة ليذهب احزان الثكالي ويسري عن ربات الحداد البواكي.

تصوير الفخر:

والفخر نوع من المديح ولكنه مديح لشخص نفسه وذلك هو مدحك نفسك بالطهارة ,والعفاف ,والحلم والعلم والحسب ومايجري مجري ذلك.

والمتنبي شاعر العظمة , والكبرياء , واعتزازه بنفسه وعلو همته , وفروسيته وحسن بلائه جعله يشرك نفسه بالمديح والباطنة , وروح التعالي التي تمكن حناياه وتظهر في فعله وشعره .

انظر إليه كيف يجعل من نفسه شريكا لممدوحه أبي العشائر وكيف يضع نفسه معه في قران واحد مما اسفر عنه التصوير في قوله:

ليس قولي في شمس فعلك كالشمس ولكن في الشمس كالإشراق

شاعـــــــر المجد خدنـــه شاعـــــر اللفظ كلانا رب المعاني الدقاق

لم تـــزل تسمع المديح ولكنـــي صهيل الجيـــاد غير النهـــاق

فهو ينفي في البيت الأول أن يكون قوله كفعل الممدوح بعد أن استعار لفعله الشمس لإضاءته ولإشراقته فقول الشاعر يدل علي محاسن فعل الممدوح ويزينه ويجمله كالإشراق الذي يجمل الشمس ويزينها , ويدل علي محاسنها.

وأبو العشائر شاعر المجد , العالم بدقائقه واسرارة والمتنبي شاعر اللفظ فيكون الشعر من المجد كالإشراق من الشمس وفهم التشبيه علي هذا النحو يحتاج إلي الترفق والتسلسل في الوصول إلي غرض الشاعر الذي هو تراه بعد ذلك في البيت الثالث , يرفع نفسه علي غيره من الشعراء فهو يقول لأبي العشائر أنت تسمع الشعر من غيري فأنت ملك والشعراء ينشدون بين يديك اشعارهم لكن فضل شعري علي أشعارهم كفضل صهيل الجواد علي نهيق الحمار . فالشبه هو فضل شعره علي أشعارهم والمشبه به هو فضل صهيل الجيا علي نهيق الحمير .

وانظر كيف جعل من نفسه جوادا وجعل من غيره من الشعراء حميرا .

وكيف جعل من أصوات شعره صهيل جياد وجعل من أصوات اشعارهم ننهيق حمير. وهكذا المتنبي أبدا ودائما.

تصوير الرثاء:

انشد المتنبي الشعر في فن الرثاء وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسره مخلوطا بالتلهف والأسف والأستعظام وفي رثائه لجدته تظهر عاطفته الحزينة الصادقة نحوها , يحاول أن يسكن لواعج الأسي التي تثور في أعماقه وأن يهدأ نار الحرمان التي تضطرم في وجدانه ,

وأن يستنجد بواسع الصبر وهو يصطلي بجحيم العذاب لمصرعها من خلال فسلفة الحياة وطبيعتها التي لا يبقي فيها شئ ولا يستمر وإنما يعود قطعا بعد أن يكون قد درج علي مهد الحياة حينا للاختفاء وإلي ماكان عليه قبل الوجود من العدم , والتلاشي ,والثناء والضياع انظر إليه وهو يقول:

ألا لا أري الأحداث حمدا ولا زما فما بطشها جهلا ولاكنها حلما

إلي مثل ماكان الفتي مرجع الفتي يعود كما أبدي,ويكري كما أرمي

فالأيام لا تبطش جهلا , ولا تكف عن بطشها حلما ,لأنها تصدر عن مشيئه القدر العليا التي ليس إلي تعويقها من سبيل ولذا فهو لا يحمد الحوادث ولا يذمها الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه وتعالي .

وأنت في البيت الثاني : تلمس فلسفه الوجود والعدم فكل شئ يعود إلي أصله الحقيقي , وإلي وضعه الطبيعي قبل الوجود والنشأة فإذا كان قد وجد من العدم فإنه يعود إليه ويرجع إلي حالته كما بدأ منها وينقص ماحدث فيه من الحياة كما ذاد . والصور تقوم من خلال تشبيه مرجع الفتي بعد موته إلي ماكان عليه قبل وجوده في الفناء والتلاشي وتشبيه نقص ماحدث فيه من الحياة بمثل ماذاد فيها في أنه لا سلطان له في كل ولا قدرة . والتصوير يحكي عجز الإنسان وضعفه أمام قضيه الوجود والعدم لا يتعلق بها سلطانه ولا تسطيع أن تتحكم فيها قدراته إنها حركة الحياة تمضي علي غير إرادة الإنسان ولا رغبه . وعلي هذا فليس هناك مبرر لذم الأحداث أو مدحها ,لأن كل شئ بقدر وفي هذا لون من ألوان التسرية مما يعانيه الشاعر من فجيعة الرزء في جدته ومصابه.

تحليل شخصية المتنبي :

إذا كان منهج تاريخ الأدب قد استأثر بدراسة المتنبي وشعره , فإن الدراسات النفسيه نادرة جدا , إذ لم تخصص دراسة مستقلة حول شعر المتنبي وشخصه , مثل الدراسات التي بحثت ف يشخصية بشار أبي نواس وابن الرومي . فقط هناك بعض المقالات التي حاولت أن تقرب بعض المظاهر النفسية من خلال سيرة الشاعر ونصوصه . بالإضافة إلي بعض اللمحات التي تخللها

بعض الدراسات التاريخية . وهذه الدراسة التي قام بإعدادها الدكتور/ زهير غازي زاهي , تعد الاولي في هذا الجانب التي تركز علي تحليل شخصيه هذا الشاعر المعجزة , إعتمادا علي منهج التحليل النفسي , مستندا بذلك الي بعض الدراسات التي قام بها من الباحثين العرب .

لذا فإن المتن الذي سنعتمده في المبحث سيكون مقسما بين مجموعة من الدارسين الذين خصصوا مقالات مستقلة ذات وجهة نفسية , من أمثال الباحث الفلسطيني يوسف سامي اليوسف , والباحث علي كمال . حتي نقف علي الطريقة التي من خلالها درسا شعر أبي الطيب من وجهة نظر نفسية محاولين بذلك استخلاص النتائج الجديدة التي توصل إليها هذين الباحثين , وهل بالفعل أضافا شيئا جديدا للدراسات المتنبئية لم ينتبه له السابقون قدماء ومحدثون , أم أنهما أعادا وكررا النتائج السابقةن بلغة جديدة ؟

وللإجابة عن هذا السؤال لابد من اتباع مجموعة من الخطوات نحصرها فيما يلي:

1الوقوف علي الأهداف المعلنة والمضمرة لتفكيكها , حتي نقف علي الدوافع التي حدت بهما الي تبني المنهج النفسي , وكذا الوقوف علي مدئ الملاءمه الحاصلة بيت هذه الأهداف والنتائج المتوصل إليها منت خلال التحليل

2. مساءلة المتن الشعري الذي اعتمد عليه كل دارس ليحقق فرضياته , لأن اختيار متن شعري معين , يستبطن بداخله موقف الدارس من الشاعر , ويعكس أيضا مواطن اهتمامه .

3. فحص اللغه الواصفة بعتبارها المفتاح الحقيقي لوصف التمثل المنهجي

4 استخلاص النتائج الملموسة من اجل تقييم جدتها أو احترايتها.

في بداية هذا الفصل سنقارب المقالتين اللتين خصصيهما يوسف سامي اليوسف لدراسة المتنبي , إذ سنقوم بعرض محتواهما وإعادة سبكه وترتيبه , متوسلين بذلك الإمساك بالخطوات المنهجية المتبعة في التحليل وستخلاص ما له صلة بالتحليل النفسي وما له علاقه بحقول أخري من التحليل . ثم سنردف ذلك بدراسة علي كامل المنشورة في مجله آفاق عربية العدد 4, ديسمبر 1977. تحت عنوان " المتنبي والنفس " من أجل مقارنة هذه المقالات , مبرزين نقط التقائهما واختلافهما خصوصا وأنهما اشتراكا في نفس المبدأ المنهجي .

يوسف سامي اليوسف : سؤال الصمود والاستمرارية

نشر يوسف اليوسف تباعا مقالتين تحت عنوان " لماذا صمد المتنبي " في مجلة المعرفة السورية عدد (119- 200) , عام 1978. يبدو من خلال هذا العنوان المتسائل أن الهاجس

وراء هذه الدراسة هو الوقوف علي العوامل التب جعلت شعر المتنبي يستمر عبر التاريخ ولم يلحقه البلي , وربما كان هذا الهاجس المركزي هو الذي حرك أغلب الدارسين المتحدثين للمتنبي , ويبقي الاختلاف بينهم في طبيعية وجهة النظر التي يعتمدونها واختلاف طبيعة المناهج المتبعة في التحليل .

لقد اختار اليوسف منهج التحليل النفسي ليجيب عن سؤال الاستمرارية , وسنحاول بدورنا في هذا المبحث أن نجلي معالم هذا المنهج من خلال الدراسة التي اقترحها علينا هذا الناقد الفلسطيني .

من خلال عنوان الدراسة ينكشف الهدف المقصود , بحيث تتوجه الدراسة رأسا إلي الوقوف علي العوامل النفسية التي أكسبت شعر المتنبي البقاء والخلود وسلكته في عقد الشعراء الخالدين .

إن سؤال المرحلة التي أنجز فيه اليوسف دراسته , اتسم بسيطرة مفهوم القومية العربية , وطرح فيه سؤال الهوية بقوة , فقد قدمت في هذه المرحلة أجوبة حول مآل هذه الهوية التي أصبحت منخورة بآخر وهذه القومية المحاصرة بالتنابذ الإيديولوجي للأقطار العربية . إن اختيار شاعر كالمتنبي لذو دلالة بالغة فهو شاعر شاهد تمزق الأمة العربية وعاش لحظات احتضارها .

إن التماس جواب لسؤال استمرارية المتنبي سيتم البحث عنه في الحاضر ليس في الماضي , فكل قراءة للماضي مشروطة بأسئلة الحاضر .

إنه في فلك هذا السؤال الكبير والإشكالي تحركت أغلب الدراسات المتنبئية , فإذا كان هدف الدراسات التي تبنت منهج تاريخ الأدب , تهدف إلي توثيق وتحقيق هذه الهوية , وقد تمثل ذلك في التركيز عن نسب الشاعر ,والمحيط الاجتماعي والسياسي والعقائدي والفكري الذي تبلور فيه المتنبي وشعره , والتركيز علي توثيق النص , فإن المنهج النفسي سينصب علي تشريح هذه الهوية ومساءلة الذات الشاعرة والكشف عن آليات اشتغالها .

لقد قسم اليوسف دراسته إلي قسمين :

1) القسم الأول : شخصية المتنبي ومنطوياتها النفسية

لقد صرح اليوسف في بداية هذا القسم ,أن الاهتمام بشعر المتنبي قديما وحديثا ليس محض صدفة , " إذ لابد من وجود عناصر نفسانية وفنية في شعره تشد إليه هذا العدد الهائل من القراء , ناهيك بالقيم التي يجسدها والتي تشكل بالنسبة للعربي مثلا أعلي , وفي ظني إن اتخاذ

أبي الطيب لمقولة القوة أو الرجولة أطروحة أساسية يتمحور حولها معظم إنتاجه الشعري ثم تنوع موضوعات شعره وتذوب اللون الوجداني فيها , هما العاملان المركزيان اللذان اجتذبا إليه هذا العدد الهائل من القراء عبر القرون العشرة الأخيرة ."

من خلال هذه العتبة الأولي يمكننا أن نستخلص معالم المنهج الذي ارتضاه الناقد , فهو منهج يشتمل علي عدة مستويات .

وسنركز في البداية علي إبراز هذه المستويات المنهجية المتداخلة , عبر الوقوف علي اللغة الواصفة المتوسل بها في الدراسة , إذ لا يمكن الحديث عن الممارسة النقدية سواء كانت نظرية او تطبيقية ما لم تتوفر علي لغة واصفة , وما لم تحدد موضوعها وخلفياتها النظرية .

المنهج الفلسفي النفساني :

أعلن اليوسف في بداية مقالتة عن طبيعة المنهج الذي تبناه وسماه بالمنهج الفلسفي النفساني واعتبره أفضل منهج لدراسة المتنبي الظاهرة , وهذا المنهج كما هو مذكور منهج تركيبي , " يري الذات في تجادلها مع عصرها وفي امتلائها بمحتويات زمانها وثقافته وما تحدر إليه من تراث عن الماضي . "

نسجل من خلال هذا التعريف , أن المنهج يركز بالأساس علي الذات , غير أن هذا الذات ليست فارغة , بل تعيش جدلا مع عصرها . وأن هذا الذات تعيش زمنين : الزمن الأصغر والزمن الأكبر . إذن فالذات في هذا التصور هي تنتاج جدل مع الواقع ونتاج لثقافة الماضي . بمعني أن الشاعر – المتنبي سبحث عنه في شخصه الواقعي وفي شخصه الأدبي , في تجربة المعيش وفي التجربة النصية . والمقصود من التجربتين أن المتنبي يرضخ لواقعه المحدد زمنيا بالقرن الرابع الهجري , ويرضخ لتجربة النصوص التي انحدرت إليه من ماضي الثقافة العربية . بمعنب أن البحث سينصب علي البعد التناصي في الاستراتيجية الشعرية عند المتنبي , فهل استطاع اليوسف أن يقبض عن هاذين البعدين في دراسته ؟ إن الجواب علي هذا السؤال رهين باستنطاق الأوليات التفسيرية والتأولية المنجزة في الدراسة .

سيحاول اليوسف استجابة للتعريف المنهجي السابق رصد المرحلة التي نبت فيها المتنبي متوخيا من وراء ذلك استخلاص السمات الرئيسية للمرحلة يقول " : ولعل اول سمه تاريخية من سمات القرن الرابع الهجري هي أنه مرحلة الاتضاع السياسي وتفسخ الإمبراطورية العربية المؤذن بنزعها نحو الموت , ولكنه في الوقت عينه قرن إعادة بناء الإمبراطورية علي أسس أشد متانة وأكثر عدالة , وهذا يعني القرن الرابع قرن تضاد وتقابل جادين , ولسوف نلاحظ أن

شخصية المتنبي تكونها مجموعة من التقابلات المتعارضة الصارخة , تماما كما أنه تعين فردي لعصره ."

لم يعرف المتنبي الجارم في حياته الكذب أو النفاق أو المداهنة , ولكنه كان في صريحا في علاقته , صريحا في أقواله .

الخاتمة :

النتائج :

- ما تبين أن المتنبي أخذ من العلماء وتعلم العربية ودرس الأدب حتي بلغ الغاية كما أن شعره كان متنوع علي حسب مراحله العمرية.

-كما أنه له نظره للحياة وأيضاً أن هناك أراء للنقاد في شعره واغلب آرائهم تدل علي أنه شاعر متميزاً

- كما له من الصفات الجميلة الفاضلة لم سيبق له وصف مثل ذاك الحين.

- كما أنه خاض في وصف لمعركة فهو إذا وصفها كأن لسانه أشجع من أبطاله في الحماسة

- وإن أقواله تقوم مقام أفعاله للسامع وأروع شعره وأفخمه في وصف الجيوش في الحروب ومدحه وهجائه لكافور الإخشيدي

- فبالغ في وصف الأسد ماشاءت شاعريته وشاء خياله المبدع

- كما تمثل وصفه للشخصيات في وصف الحسان الكوفيات ووصف سيف الدولة

- وما نتج من وصفه أن التشابه الدقيق بين الحقيقة والصورة التي ابتكرها ينشأ من دقة صنعه وبراعته وإجادته الفنية.

-لذلك فهو شاعراً من إبداعاته حتي نفسه لم يتجاهلها في وصفه

التوصيات:

- لعدم تمكننا من التوصل في تناول الأغراض التي ليس نهايا فإننا تناولنا بعض النماذج في الوصف والمدح والهجاء وهو ونوصى الدارسين والباحثين في شعر المتنبي الإهتمام به وإكمال

ما لم نستطيع الوصول اليه من هذه الأغراض وعلي الطلاب النهوض بالأدب خاصة في مجال الوصف والمدح والهجاء

أهم المصادر والمراجع:

- ديوان المتنبي – دار الجبل بيروت
- خلف رشد نعمان ، الموضح في شرح ، 1965م ، دار المعارف
- مروان عبود ، أرباء العربة ، 1979م ، ط1
- جورج غريب ، المتنبي ، 1967م ، دار ثقافة ط1
- محمد مندوب ، النقد المنهجي عند العب ومنهج البحث ،ط1
- نظير عبود ، أدباء العرب في عهد العباسية ،ط1
- سلسلة خزانة التراث الموضح في شرح ابي الطيب المتنبي

- مصطفي السيوفي ، إمراء ال.... دولة بني العباس
- الدار الدولية للإستثمار الثقافية
- السيح ابي زكرياء يحي بن علي التبريزى ،الموضح في شعر البي الطيب المتنبي ،ط1
- أميليو غرستيه غومت ، مع شعراء الأندلس ، المتنبي ، دار الفكر العربي
- مصطفي الشكعة ، أبو الطيب المتنبي في مصر أو العراقيين 1421هـ ، الدار المصرية اللبنانية ،ط1 2001م
- طه حسين ، مع المتنبي ، دار المعارف ، ط1 ، 1119م
- محمد يوسف فرات ، أبو الطيب المتنبي
- محمد عبد الرحمن شعيب ، المتنبي بين ناقديه